كلية الآداب والعلوم
الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة آل البيت

الصور العقلية في شعر المتنبي

The Mental Images in the Poetry of Al-Mutanabi

إعداد الطالب
سالم شيهان حجيل العتيبي
الرقم الجامعي
١٤٧٠٣٠١٠٠٤
إشراف الدكتور
عبدالرحمن الهويدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها

عمادة الدراسات العليا
جامعة آل البيت
نيسان، ٢٠١٨م

تفويـض

أنا **سالم شيهان حجيل العتيبي**، أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي بعنوان: **"الصور العقلية في شعر المتنبي"** للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ: 2018/5/2

إقرار والتزام بأنظمة وتعليمات جامعة آل البيت

أنا **سالم شيهان حجيل العتيبي**، تخصص اللغة العربية وآدابها

الرقم الجامعي: 1470301004

أقر بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي الموسومة بـ :

"الصور العقلية في شعر المتنبي"

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسالة. كما أعلن بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً على ما تقدم، فأنني أتحمل المسؤولية كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها، وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها، دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب :.....التاريخ : 2/ 5 /2018.

قـــرار لجنـــــة المناقشـــــة

الصور العقلية في شعر المتنبي

The Mental Images in the Poetry of Al-Mutanabi

إعداد الطالب

سالم شيهان حجيل العتيبي

إشراف

الدكتور عبد الرحمن الهويدي

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
٠١ د. عبد الرحمن محمد الهويدي	مُشرفاً ورئيساً	
٠٢ دة. بثينة سلمان القضـــــاة	عضواً	
٠٣ دة. مها عبد القادر المبيضـــين	عضواً	
٤. دة. خولة خليل شخاتـــــرة	عضواً خارجياً	

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

٢٠١٨م

الإهـــــداء

إلى والدي العزيز،،

إلى أمي الغالية،،

إلى كل من وقف معي حتى أنجزت هذا العمل

إليكم جميعاً خالص محبتي وتقديري

إلى جميع هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع

الباحث

سالم العتيبي

الشكـــر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسـلام على أشرف الخلق والمرسـلين سـيدنا محمد خير مرشد ومعلم وعلى اله وصحبه اجمعين .

يسرـني أن أتوجه بالشـكر والامتنان الى الدكتور عبدالرحمن الهويدي المشرـف على رسـالتي، الذي لم يبخل علي بالجهد والوقت، وقدم لي النصـح والارشـاد طيلة سنين دراستي. وانا مهما شكرت واثنيت فلن استطيع ان اوفيه حقه فجزاه الله عني خير الجزاء .

واتقدم بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة الذين يكون لملاحظاتهم القيمة وضع دراستي في المسار الصحيح.

الباحث

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات ..... ز

الملخص ..... ط

المقدمة ١

أهمية الدراسة ١

أسباب الدراسة ٢

الدراسات السابقة : ٤

الفصل الأول : حدود الصورة العقلية وتجليات الحدث: ٦

مقدمة: ٧

المبحث الأول الاشتراك الدلالي المنطقي بين حدود الصورة: ٨

المبحث الثاني : -شبكات المعنى والأدوار الدلالية: ١٧

المبحث الثالث : أنظمة الاستدلال وأدواتها المنطقية : ٢٦

المبحث الرابع : دور اللغة في تمظهرات الأسس التجريدية داخل الصور العقلية : ٤١

الفصل الثاني : العالم العجائبي في الصور العقلية عند المتنبي ٥٢

المبحث الأول : دلالة العجائبية في مفهوم الادب ٥٣

المبحث الثاني : العوالم المرمزة في صور المتنبي : ٦٠

المبحث الثالث: صناعة التوافقات المبرهنة في الدلالة الشعرية ٧٠

المبحث الرابع : الدَّمج الوظيفي في بنية العالم العجائبي ٨٠

الفصل الثالث : أُسس التجريد الفكري في الصور العقلية عند المتنبي ٩١

المبحث الأول: موجهات المعنى في المنطق اللغوي عند المتنبي ٩٢

المبحث الثاني : تراكب المنطق وتوالي الاخبار.....١٠٠
المبحث الثالث : الحجاج الفكري في منطق اللغة.....١١٠
المبحث الرابع : الصنعة اللغوية في اللفظ والتركيب ١١٩
الخاتمة ١٢٩
ثبت المصادر والمراجع.....١٣٠
١-القرآن الكريم.....١٣٠
٢-المراجع :.....١٣١
Abstract.....١٣٨

الصور العقلية في شعر المتنبي

إعداد الطالب

سالم شيهان حجيل العتيبي

إشراف الدكتور

عبدالرحمن الهويدي

الملخص

تناولت هذه الدراسة الصور العقلية في شعر المتنبي، محاولة تأسيس بعض التوقعات التي حكمت اللغة عند المتنبي، وأن تتعرف على قدرة منطق اللغة عند المتنبي للتأثير بالمتلقي، ولعلها استطاعت ان ترصد تحركات هذه الكلمة ثم تواكب تغير دلالتها إن كانت مفردة أو في التركيب.

وتبعاً لطبيعة الدراسة، جرى تقسيم الرسالة الى مقدمة، وثلاثة مفصول وخاتمة، تناول في الفصل الأول: حدود الصورة العقلية وتجليات الحدث، إذا توزع هذا الفصل على أربعة مباحث، والفصل الثاني: العالم العجائبي في الصور العقلية عند المتنبي وتوزع على أربعة مباحث، وجاء الفصل الثالث: أسس التجريد الفكري في الصور العقلية عند المتنبي في أربعة مباحث.

أبرز النتائج التي توصلت الدراسة إليها هي:

١- احتوى شعر المتبني من خلال القصائد قيد التحليل على العديد من الصور العقلية والتي تبرز قدرة المتبني على توظيف الالفاظ في نقل الصور الشعرية المختلفة.

٢- تميز شعر المتبني بعالم من الخيال العجائبي يبتكر تلك الصور في طبقات وجودها والموجودة في شعره.

٣- ينمو عند المتبني منق اللغة الواعية التي تتصاهر مع جوارها في طرق تظافر المعنى القصدي مع أساليب لغوية تتنوع بين النحو والبلاغة.

٤- تميزت الصور العقلية في شعر المتبني بشيوع العاطفة والبلاغة.

٥-وظف المتبني النحو في بناء الصور العقلية العديدة في شعره كما استطاع توظيف المفردات المعجمية

المقدمة :

- "إنَّ الأدبَ يمثلُ وجودَ الإنســـانِ الفاعلِ، والتركيب الأدبي تكثيفٌ وتجســـيدٌ للفكرِ البشرـي الخلاَّق في أقصىـ طاقاتِه المعرفيةِ والحســية، ولأن الإنســانَ هو كائنٌ باحثٌ عن المعنى وليس مالكاً لهذا المعنى؛ من هنا لا نســتطيع فهم الإنســان بعيدًا عن الأدب , ولا يمكننا فهم الذات البشرـية بعيدًا عن توسـط الأدب بما يتضـمنه من لغةٍ وعلاقة صوتية ورمز ونص".

أهمية الدراسة

- تأتي أهمية الدراسة في هذا البحثِ في محاولة لنؤسس بعض التوقعات التي حكمت اللغة عند المتنبي، وأنْ نتعرَّفَ على قدرةِ منطق اللغة عند المتنبي للتأثير بالمتلقي، ولعلنا اســتطعنا أنْ نرصــدَ تحركات هذه الكلمة ثم نواكبَ تغير دلالتها إنْ كانت مفردة أو في التركيب.

-هذه اللغة التي لا يمكن أن تكون حدثاً بعْدِياً للحدث الرئيس ، ثم يقتصرــ دورها على التبعية؛ لأنها مصـــدر مهمٌ لتطوير العقل والروح معًا، ولأنَّ المتنبي يسـتطيع أن يبحرَ في اللغة بكل اتجاه دون قيد يمنعه أو سـقف يحدِّد فكره ورؤيته، ولعل غالبية الدراســات النقدية العربية كانت باتجاه واحد بتحليلها للمتنبي , مع أهمية ما جاءت به من فكر وطاقات معرفية ولغوية, إلاَّ أنها لم تحاول أن تصــهر علوم اللغة معاً وتقدمها وفق مزيج فاعل من القدرة والطاقة المؤثرة ، ولم تجمع

تقاليد الإرث العربي مع أحدث نظريات التلقي وتذوق الأدب ، واقتصرت أغلب كتب الأدب على استلهام بعض الأبيات الشعرية المتفرقة ، ولم توفق في تحرير الموروث النقدي العربي من بطئه في مواكبته العلوم النقدية الحديثة، وقلما نجدُ كتاباً نقدياً عربياً استطاع الجمع بين موروثنا النقدي العربي وحداثة الأدب ونظرياته في عصرنا الحالي.

أسباب الدراسة :

أسبابُ الدراسةِ تتنوع تبعا لتنوع طبيعة اللغة بين التصور العقلي المجرد ، وبين التجسيد التركيبي لعلاقاتها وترابطها ، والحكم على كل قضية من قضايا اللغة عند المتنبي يبرز وجوها جديدة ومسوغات طارئة لإقامة الدراسة ، ولعل قصور الدراسات السابقة عن بنى الصور العقلية والغوص في تطبيقها تحليلا ؛ خلق مسوغا جادا للبحث والتقصي في تراتبية البنى العقلية للصورة اللغوية عند الشعراء العرب ، ولكل فصل من فصول البحث تأتي المسوغات متتالية وظاهرة للعيان في محاولة لاختراق التآلف الاعتيادي الجامد .

- حاولَ هذا البحثُ أنْ يستبط مكامنَ قوةِ اللغةِ عند المتنبي وقدراتِها الهائلةِ , فبدأً من طاقة الكلمة المفردة بصفتها أساسَ التحريض الوجداني وتركيب بنية الفكر، وقد اعتمدتً الدراسة في الفصل الأول (حدود الصورة العقلية وتجليات الحدث) على اللغة الاستقرائية التي توظف الأنساق اللغوية حسب قدرة الكلمات على صناعة أو تتبع الحدث، وعلى عدِّ الكلمة بمثابة تحقيق للحدث اللغوي الذي يستطيع

الإنجاز، دون إهمال قوة النحو الوظيفي وعلاقات التركيب بشـــكل يكملُ دراسة طاقة الكلمة دون النسق.

- ويأتي السبب للدراسة في الفصل الثاني ؛ (العالم العجائبي في الصور العقلية عند المتنبي)؛ ليبحثَ في قوة رســـم العالم التوافقي بين العجيب والعجائبي ، بما يؤسس الجمال والمعرفة اللغوية داخل النص، وتحديد قدرة الصورة الحرة على توجيه فائض المعنى للمتلقي، ولم يهمل هذا الفصـــل أهمية اللغة المجازية بين موروث البلاغة العربية وأهم الدراسـات الحديثة التي تهتم بحركية الدلالة القصـدية للكلمة أو التركيب، وقد حاولنا تقديم بعض التحاليل اللغوية لقدرة الكلمة والتركيب على التأثير في المتلقي وفق مبدأ المعرفة الممتعة ؛ وجاذبية اللغة الفكرية .

- ولعل التطبيقات اللغوية التي قدمتها النماذج الشعرية المختارة عند المتنبي قد ساهمت في توضيح النص الأدبي في ضوء اعتماد دراسة التموضعات الدلالية لكل كلمة أو تركيب، والبحث في البنى التصويرية للغة الأدبية بصفتها طاقة قابلة للانتقال ضمن النص الأدبي الواحد عبر صناعة التموضع الدلالي لكل كلمة مؤثرة داخل النص.

وأخيراً ؛ يحاول الفصل الثالث(أُسس التجريد الفكري في الصور العقلية عند المتنبي) ؛ تقديم رؤيا جديدة لعمل التركيب اللغوي في منطق اللغة الفاعلة، والبحث في بنية لغته المعلَّقة داخل النص الأدبي، ويتناول مفهوم لذَّة اللغة وتحريض المتلقي بين طاقة التجريد وقوة الصـورة، ولم يهملْ دور اللغة في خلق أنظمة لغوية متطورة تتجاوز عوامل الضعف في بعض حالات المنطق التقليدي , وتتعامل مع هذا المنهج

بوصــفه قوة بناء إضــافية تســارع نمو النص الأدبي ودلالته اعتماداً على لغة معرفية حسية تأصل اللغة التركيبية الناقدة .

ولابد من التذكير بأننا اعتمدنا على قوة دلالة النحو لتأصــيل هذه الأفكار ضمن كل فصل من فصول البحث محاولين تقديم بعض الرؤى التي تستطيع إطلاق قوته المؤثرة داخل كل نص أدبي، ولم نغفل أهمية إيجاد توازن بين النحو العربي وبين أهم نظريات علوم اللغة الحديثة.

الدراسات السابقة :

- إنَّ الدراســاتِ الحديثة حافلةٌ بكل أنواع التحليل النوعي للأدب , ولكنَّها اكتفت بهذا الدور التحليلي بوصــفه لاحقاً ومرهوناً بالإنجاز الأدبي لكل مؤلفٍ أو مبدع دون أن تحاولَ تقديم رؤى مقنعة للأد يب ليســتطيعَ محا كاتها وتلمس إبداعاتها، وتوقف الأدب فجأةً عن القيام بدوره التبصــيري الخلاَّق الذي يقود العقل لبواطن اللغة وطاقاتها ثم اقتصر دوره على تتبع ما جاد به الأديب من علائق لغوية وتراكيب أدبية ؛ ومن هذه الدراسات نذكر ؛ (شعر الحكمة عند المتنبي بين النزعة العقلية والمتطلبات الفنية) ، بحث مقدم لنيل الماجســتير في الأدب القديم - جامعة الإخوة منتوري - الجزائر ،قسنطينة٢٠٠٦م ؛ وهذه الدراسة تتناول الفترات التاريخية في حياة المتنبي وبقيت حبيسة الدراسة التاريخية ، ولكنها أفردت فصلا عن المؤثرات التي قادت المتنبي لحكمته من مثل اتصــاله بالترجمات من اليونانية ، وخصــصــت الدراسة فصلا متواضعا لبحث الخصائص الفنية والفكرية في شعر المتنبي ؛ والحكمة

التي يبحثها البحث تتجلى في النصح والإرشاد الفكري بمجمله بعيدا عن قدرة الصـور على بناء تجريد عقلي وحوار تصـويري بين حدود الصـورة الواحدة أو تفاعلها مع صـور عقلية أخرى بما تقدمه من تحفيز معرفي وجمالي وفكري ، البحث بقي سردا مجملا لا يعمل على توضـيح الآلية الشـعرية وبحث الاسـتبصـار الفني والفكري في شعره .

والله ولي التوفيق.

الفصل الأول : حدود الصورة العقلية وتجليات الحدث:

المبحث الأول : الاشتراك الدلالي المنطقي بين حدود الصورة .

المبحث الثاني : شبكات المعنى والأدوار الدلالية .

المبحث الثالث: أنظمة الاستدلال وأدواتها المنطقية .

المبحث الرابع : دور اللغة في تمظهرات الأسس التجريدية داخل الصور العقلية

مقدمة:

عاش المتبني في عصر تميز بوجود العديد من المتناقضات كما شاعت فيه العديد من الثقافات، وتميز بشيوع الصفحة الشعرية وتمايز الشعراء الذين كانت لهم بصمات واضحة في تطوير الصنعة الشعرية والتي كان لها الأثر الكبير في قوة شعر المتبني.

إن بناء الصور العقلية عند المتنبي نسجَ قياساً منطقياً جديداً وفق مفهومٍ ناظمٍ لعلاقات قد أوجد صلاتها بشكلٍ جديدٍ يخالف بعض الإرث السائد الذي حاولَ غيرُهُ الاجترارَ منهُ؛ ولاشك أن البحث في هذه المسألة سيقود إلى محاولة تتبع الحياة الفكرية ونمط الصور العقلية التي حاول المتنبي خلقها أو اجترارها من السلف أو من الإرث المنطقي والفلسفي في العصور السابقة وربما من التيارات العقلية التي سادت عصره.

إن الصور العقلية عند المتنبي لم تكن خطرات في الفكر وصل إليها الشاعر بمجرد التأمل والتجربة بل هي تخاطرٌ بين علوم انصهرت في وجدانه وفكره متنوعة بين فلسفة ولغة وأدب ودين؛ وهنا سنصل في نهاية هذا التمازج إلى حدود منطقية لوجود الصورة العقلية التي تحدد نظرية المعرفة((الأبستمولوجيا) عند المتنبي ونستطيع معرفة مقاييسها التي تصنع حدود وجودها وقدرة المتلقي على فهمها.

المبحث الأول الاشتراك الدلالي المنطقي بين حدود الصورة:

إن وجود اشتراك دلالي منطقي بين مفردات ودوال الصورة العقلية الواحدة التي يمكن أن تكون جملة واحدة تتضمن عادة حدود صورة عقلية كاملة أو أكثر من جملة محاولة صنع صورة عقلية متكاملة الوجوه؛ وقد بحث في هذه النقطة (إفيلين جاكيه) بمصطلح أسمته (Copredication) أو مما يمكن ترجمته اصطلاحاً على مفهوم (شركة حمل المعنى) وهي تعرِّفُه بأنهُ "تجميعاً لسياقات مختلفة ضمن الجملة نفسها أو التركيب نفسه. وتقوم تلك السياقات على مسانيد يختار كل واحدٍ منها معنى مخصوصاً من بين مجموعة المعاني الممكنة التي تتوفر عليها المفردات الغامضة."[1]

وهنا يمكن الاتكاء على سياقات متنوعة ضمن جملةٍ واحدةٍ أو جمل متنوعة يكون مهمتها رسم حدود الصورة الواحدة الحدسية أو العقلية وربما الاعتماد على (مسانيد) كما أسمتها أفليين جاكيه وبذلك يتخلق أكثر من ارتكاز واحد للسياقات المتنوعة مما يعني اصطلاحاً بؤرة لتكاثر المعنى داخل الصورة العقلية الواحدة وهذا يوسع من دائرة الفهم العام وقدرة الاستنباط من كل صورة عقلية قد تم إحداثها واصطناع أضلاعها ثم خلق مسانيدها التي لا تشترط الوجه النحوي لابتكار الوظيفة المناطة بمصطلح (أسانيد)؛[2] وإنما من حيث الدلالة القارية التي تؤسس لها داخل السياق ومن ثم داخل الجملة المنتجة للسياق، أو ضمن التركيب الكامل المعتمد على سياقات متكاملة.

---

(١) المنحنى الدلالي (دراسات في الاشتراك الدلالي ووجوه المعنى) – دار الحامد للنشر والطباعة – عمان – الأردن – الطبعة ١ – ٢٠١٣م، ص٧١.

(٢) اسانيد جمع سند وهو ما يوصل لشيء.

وعلى ما سبق، يمكننا البحث في تأسيس سياقات صانعة للصور العقلية أو الحسية اعتماداً على نهج ربطٍ متواصلٍ للسياق مع المتلقي وقدرته بعد ذلك على تصنيع الصورة العقلية، أو ربما اختصارها بمفهوم بلاغي، مثل صور الاستعارة أو الكناية أو المجاز المرسل، ونحن هنا نحاول أن نفهم آلية الربط بين المعنى وبين الحدث الصوري الذي ينتج الصورة العقلية المركبة من اتحاد عدة معان منفصلة عن بعضها بعضا ؛ ومما يلفت الانتباه وجود علم قائم يدعى (علم حركة الأفعال praxematique)؛ "والذي يُعنى بآليات إنتاج المعاني ما يربط الصلة بين الحدث اللساني الاستعاري والحدث الواقع خارج اللغة، ويهتم بأشكلة الصلة المؤسِّسة بين طريقة مقولة أحداث العالم الواقعي وبين التمثيلات المكونة"[1].

وتكون حركة الأفعال ضمن آلية المعنى وصناعة النسق الارتكازي مع ما يخلقه من تصورات جديدة مدمجة مع كامل التركيب ولعل كل زيادة أو نقصان أو تغيير في بنية الفعل أو موقعه؛ هو دلالة لنسق جديد وارتكاز للمعنى الذي يبحث في تخليق الصور العقلية المرسومة بعناية وتأويلية مبتعثة من داخل الأنساق.

وقد تقارب في دفق المعنى وجود تغير في بنية الفعل ومن جهة خلق (التعدية) في صيغة (أَفْعَلَ) مع ما يفسره ابن الحاجب في التعدية بصفتها حالة خاصة مع همزة التعدية التي تخلق المعنى الجديد زيادة على ما يتعدى أصالة دونها ومنه الآية الكريمة فمعنى قوله تعالى: "فَأجاءَها المخاضُ إلى جذعِ النَّخلةِ"[2]، يعرب الضمير المتصل مع

(١) – المنحى الدلالي – مرجع سابق – ص٨١.

(٢) سورة مريم، الاية ٢٣

الفعل مفعولاً به مع أنه بالأصل ضمير الفاعل الحقيقي للحدث وذلك قبل دخول همزة التعدية على الفعل (جاءت) والسؤال المقدم هنا ما الغرض من إسناد المزيد إلى الفاعل الجديد؟

والجواب المقدم هنا يتضح في التحويل الإسنادي الذي يعني ضرورة بأن الفاعل الحقيقي لم يقم بالفاعلية مختاراً، وإنما بوضع الاضطرار والاندفاع بالقوى الجبرية التي تتغلب على إرادته وهي الفاعل الجديد مع همزة التعدية؛ ومن أمثلة الفاعل الذي يأتي بمحض إرادته من الأمثلة القرآنية الكريمة: "وجاءَ من أقصا المدينة رجلٌ يسعى"[1].

نجد الفاعل بمحض إرادته دون حالة إجبار اضطراري على عكس ما ورد؛ كما يتضح ذلك في قولنا مثلاً: (ثُرَّ الرجلُ عن بلاده) بمعنى تباعد بقرار نفسه أما قولنا (أَثَّرَّهُ القضاءُ) بمعنى أبعده اضطراراً.[2]

ومن حالة همزة التعدية في حالة المعنى ضمن السياق عند المتنبي ورد بعض الأمثلة الشعرية التي تنتحي ضمن ارتكاز للأسانيد الدلالية لخلق صور عقلية منوطة بالمعنى السياقي السابق في مفهوم (Copredication) الذي يتكفل في (حمل المعنى) أو (الشراكة في حمل المعنى) وربما تتوفر المعاني المشتركة للمفردات الغامضة التي صيغت وفق مفهومٍ خاصٍ؛ والشراكة في حمل المعنى هنا قد اعتمدت على حركة الفعل الذي ارتبط مع الحدث الواقع خارج اللغة، واهتم في التمثيل المكوِّن الجديد مراعياً

---

(١) سورة يس، الاية ٢٠

(٢) انظر هيفاء حدة السعفي (الفاعلية في اللسانيات، مقاربة الفاسي الفهري) ، ط١،– عالم الكتب الحديث – إربد – الأردن – ٢٠١٤م، ص٧٤–٧٥.

السياق السابق الذي أوجده وخلق بنيته المعرفية الناشئة ضمن التركيب المذكور.

- يقول المتنبي

كَـــم وقفـــة سَـــجَرَتْكَ شَـــوقاً بعـــدما

غَـــرِيَ الرقيـــبُ بِنَـــا وَلَـــجَّ العـــاذِلُ

دونَ التَّعـــــانُقِ نـــــاحلينَ كَشَـــــكْلَيْ

نصْـــــبٍ أَدقَّهُـــما وصـــمَّ الشـــاكلُ[1]

*** ومما ورد في معاني الفعل (دقَّ) الذي ورد (تحف، رهف، رقَّ، صفر) وقد زيدت همزة التعدية، للفعل اللازم للدلالة على الفاعلية الإجبارية التي منعت حدوث التواصل والتعانق بين العاشقين ويصف حالة الإرهاب والتعب والنحول ويتحول الفاعل الحقيقي الذي يدل على أصالة الفاعل في الفعل قبل إضافة التعدية والتي تحمل على معنى (الصيرورة) وتنسب فاعليتها اضطراراً وثبوتاً للقوى المؤثرة التي تتبع الصيرورة القائمة بالحدث غصباً.**

---

(١)،شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ؛ المسمى التبيان في شرح الديوان، بشرح: أبي البقاء العكبري ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه، مصطفى السقا- إبراهيم الإيباري- عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى الباني الحلبي ، القاهرة ، مصر، ١٩٢٦م ، ص٣٦٩-٣٧٠.

- ابن منظور، المعجم الوسيط، باب خف، رهف،صقر.

وحول هذا يقول المهيري؛[1]" الأفعال الدالة على الصفات والأحوال، فإن فاعلها النحوي لا شأن له في حدوثها وحصولها، أو عدم حصولها، ولا يختلف ما يدل منها على الأحوال عما يقيد الصفات إلا بقدر ما يختلف الوقتيُّ الزائل عن المتواصل أو الدائم"[2].

وعند الفعل (أدقَّها) الذي تعانقت فيه همزة التعدية التي تدل على الاضطرار والقدر والمشيئة مع فائدة الأحوال والصفات التي تكلم عنها (المهيري) وقد ساهم هذا في تكوين التصور العقلي عن حالة صورية لعلامة الفتح مع ارتباطها الدلالي بثنائية قد رقت حوافها ولم تلتصق وجودياً فمُنِعَ تعانق الفتحتين في تنوين الفتح تشبيها لعلاقة عاشقين قد أجبرهما القدر على الابتعاد و الفراق وقد نهبَ التعبُ جسديهما حزناً وأرقاً وقهراً.

إن الفاعل النحوي أو الشكلي في البيت الشعري هو الدال (الشاكلُ)؛ وهذا التأخير في الفاعل مع وجود حالة العطف بين فعلين من الرتبة الزمنية الواحدة التي تلتصق بالحدث الماضي قد صنعت صورة عقلية تؤكد سياق المعنى وتتمحور في دلالة الفعل والفاعلية نتيجة تمازج حركة الفعل ونمط صيغة (أفعل) التي دللنا عليها فيما سبق؛ وقد تفاعلت هذه الارتكازات فيما بينها لتقدم شراكة حقيقية في حمل المعنى وفي تكوين الصورة العقلية والترابط السببي بين حالة العاشقين وبين الحركة النحوية أو الدلالية لتنوين الفتح في مشاكلته للوجود والصيرورة مع تغير بنية الفعل الأصلي

---

(١)أحمد علماء اللغة العربية في العصر العباسي.

(٢) عبد القادر المهيري من الكلمة إلى الجملة " بحث في منهج النحاة "– مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع – تونس– ١٩٩٨م– ص٨٩.

وحالة الفاعلية بما يناسب التكوين الجديد الذي خلقه المتنبي بين جدران وأطراف الصورة الجدلية والعقلية في شعره وصوره.

وعن رتبة الحدث في الزمن الماضي وما تستطيع تعميقه من حالة الجمع والمشاركة مع فعلٍ لازمٍ ثانٍ قد تبع الفعل (أدقهما) وجاء مع حالة العطف الحدثي في الفعل (صمَّ) ولكن إلغاء المفعولية هنا والاكتفاء بحالة اللزوم مع الفاعل بخلق التباين الذي تتبناه الرتبة الدلالية من ضرورة خلق انتباه المتلقي وضرورة تكوين حالة كسر التوقع المنطقي مثلاً لو كان البيت الشعري على النحو:

(أدقهما وصمَّهما الأشكلُ)

وهنا ربما ستتضح الرتبة القرائية التي هي الأصل عن الاختلاف في الظاهر ولهذا النموذج المتبع نستطيع أخذ بعض الأمثلة الشعرية التي تباينت فيها الرتبة القرائية في المعنى العميق عن الرتبة الظاهرة في الدلالة المتطوقة.

ومنها على سبيل المثال الاختلاف في أزمنة الفعلين المتتاليين في الجملة القرآنية.

وتعود الصور العقلية عند المتبني أساساً تكمن هنا في "عدم توافق القضايا الظاهرة في البنية السطحية بشكل إلزامي، مع بنيتها العميقة. ونكتفي هنا بالإشارة فقط إلى أن عملية تولي البنيات السطحية العربية تُعَدُّ عملية مكلفة جداً وغير مضمونة أحياناً".[1]

(١) الفاعلية في اللسانيات، مقاربة الفاسي الفهري ، د. هيفاء جدّة السعفي– عالم الكتب الحديث – إربد – الأردن ، ط١، ٢٠١٤م– ص١٢٤.

ولكن التكلفة التي قد تتضح من حيث بنية الاقتصاد اللغوي الواجب استعمالها من حيث مبدأ "البلاغة في الإيجاز" والتي قد تتضمن رموزاً جديدة ستدخل في المعنى الغائب مما يجعل الصور العقلية أكثر نماءً داخل الشعر وهذا يزيد من طاقتها والتشكيل اللفظي تنبعث منها الدلالة باستمرار متجددٍ.

ومن ذلك قول الشاعر المتبني [1]:

والموج قبل الفحول مزبدة تهدر فيها وما بها قطم.

كما يقول الشاعر[2]:

كأنها في نهارها قمر جف به من جناتها ظلم

ناعمة الجسم لا عظام لها لها بنات ومالها رحم.

لعل هذه الصور العقلية عند المتنبي هي النماء الذي كنا نتوقعه على تغير التركيب اللغوي السطحي الذي يحاول الوصول سريعاً إلى قلب البنية العميقة مع عبقرية شعرية في طرق التوجيه، وبناء القرائن المصاحبة داخل التركيب اللغوي ونحن هنا نلاحظ في البيت السابق توظيف الحال (ناحلين) في قرينة نحوية سابقة تمهيداً لحدود الصورة العقلية المتكاملة بداية وانتهاءً بقرائن متصلة بين التركيب والترتيب في الشكل والمضمون، مما يساعد على النماء الذي يسيطر على كل البنى الداخلة في عملية السياق والحدث؛ حتى وإن كان توظيف (الحال) في الدال (ناحلين) جزءًا من بنية

(١) شرح ديوان المتبني، ج٤، ص٦٦-٦٧

(٢) شرح ديوان المتبني ، ج٤، ،ص٦٦-٦٧.

الاسم المنصوب الذي يبين هيئة صاحب الحال، وفي ذلك تتستر الصور العقلية التي ترتسم في عدد من الدوال اللاحقة (أدقهما ما صمَّ) وهذه الأفعال التي نمت بهمزة التعدية تارةً واشتركت بالفاعلية والحدث تارةً أخرى.

وعلى هذا المبدأ التصويري في الفعل يشرح (جاكندوف) هذه البنية التصويرية التي "يجب أن ترمز بِنْية موضوعية مناسبة، وتربط في المعجم ببنية قضائية مُرَمَّزة مفصَّلة جيداً"[١]وتقدم البنية الموضوعية بعد أن نضيف الدالة التصويرية الإضافية وهذه

الأفعال داخل السياق الذي خُطت فيه تكوِّن طبقة دلالية كاملة وهذا يعد ضرورياً للتفسير وفق معادلة:

[حدث حركة ([شيء س])][٢]

والحدث الحركي مع تركيب كامل في المعنى واشتراك بالمعنى الذي يكون (س) وكل جزء من التركيب الدلالي، يساهم بشيء من (س) مع تماس مع الحركة وبذلك لابد من خلق الحركة أولاً ثم الاشتراك في المعنى ثانياً، وهنا لا نستطيع نكران دور الحدث الديالكتيكي[٣] المعاكس للوضع (الستاتيك) في خلق هذا الأنموذج التصويري الضروري في بناء الشاعرية العقلية أو اللغوية، وامتداد (س) أو لنقل (شيء من س) على امتداد

---

(١)أحمد بريسول- دلالة أفعال الحركة في إطار المعجم المولد، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت – ط١ – ٢٠١٣م – ص٧٩.

(٢) المرجع نفسه – ص٧٩.

[٣] الديالكتيكي: اللفظ المعاكس للوض

التركيب ولذلك كان الفاعل والمفعول وحالة الفعلين المتجاورين(أدق،صمم) ضمن كل هذه المكونات التصويرية وامتزج الحدث في حركته مع الاشتراك في المعنى لرسم السياق وخلق الارتكاز الذي بدأنا الحديث عنه في مصطلح (شركة حمل المعنى (Copredication) يأتي دور المسانيد الاصطلاحية في الأفعال أو في الأسماء وما تمثله من حملٍ مشتركٍ للمعنى والمساهمة (بشيء من س) كما ذكرنا سابقاً.

وقد تطورت هذه الارتكازات في حمل الصور العقلية عند المتنبي وقد أوكلها بعض المهام الإضافية التي ربما تقدم المنحى الجمالي مع خاصية الفهم المركب أو المعنى المحمول اشتراكاً وعليه رأينا (الحال: ناحلين) كيف بدأ بخلق السياقِ الاستباقي تمهيداً للحدث الحركي مع الفعلين اللاحقين.

المبحث الثاني : -شبكات المعنى والأدوار الدلالية:

تعتمدُ الأدوارُ الدلالية على التوافق في التركيب بين الدوال ومدلولاتها من جهة ما وبين قدرة أدوات هذه الدوال على صناعة المعنى المطلوب؛ ويتم التمايز هنا على أساس الدور الدلالي الذي يؤديه الدال والخاص عن بقية الدوال الأخرى التي تشترك في التركيب، ويتنوع هذا التأثير بين التمايز القوي(strong distinctness) عندما يكون الدال مؤثراً بشكل إفرادي في كامل التركيب، وهناك حالة التمايز الضعيف (Weak distinctness)الذي يعتمد فيه على معنى منتزع من أدوار متعددة لدوال مشتركة في التركيب؛ وآلية التمايز (distinctness)؛ واحدة من ثلاث آليات تعتمدها نظرية الأدوار الدلالية منها:

التمام (Completeness) التي تعتمد إسناد دور محوري لكل فعل في التركيب، وهنا الإفراد (uniqueness) الذي يعتمد إلى دور محوري واحد فقط لكل موضوع ويمثله فعل واحد.[1]

ومهما تنوعت فرضيات الأدوار الدلالية عند علماء اللغة إلا أنها اعتبرت (الحدث) أو (الفعل) مركزاً لتطوير العمل الدلالي لكل تركيب لغوي، واعتبرتها ركيزة توضح الصورة النهائية للمعنى المطلوب ضمن كل تركيب لغوي، وهناك للصورة؛ وعليه سنحاول استقراؤه ضمن دمج نظريتين تعتمد الأولى على آلية التمايز التي ذكرناها

(١) انظر احمد بريمول(دلالة أفعال الحركة في إطار المجمع المولد)- مرجع سابق – ص٨١.

آنفاً، وتعتمد الأخرى على فكرة (جاكندوف) [1] التي تقسِّم (الحدث) إلى حقل موضعي يؤثر فيه (positional field)[2]؛ وهذا التقييم رغم ما يتضمنه من إحالات متنوعة إلا أننا نجده قادراً على إكمال نظرية التمايز التي تتلاءم مع الحقول التي أوجدها (جاكندوف) بهدف خلق التمثيل الدلالي لكل صورة خاضعة للدراسة، ولعل صور المتنبي الحدسية أو العقلية وما تتسم به من غموض أو تآلف قوي بين الحسي والفكري؛ تمثل تركيباً متنوعاً يتيح المجال لعمل هذه الطاقات جميعها معاً دون أي تعطيل أو تهميشٍ لقوة التركيب المدروس وما يقدمه من أدوار دلالية تساهم في نشوء قوة التأثير التي انتهجها المتنبي في كل شعره، وللبحث عن هذه الطاقة المتفجرة في شعره، كان لابد من إيجاد العلاقة التي تربط هذه المكامن داخل الحيز أو الفضاء الشعري في كل تركيب اعتمده، وعدم إغفال أي تفصيلٍ أو تمثيلٍ قد أثبته في خوارزميات شعره؛ وهنا سنحاول أن نتتبع نظرية التمايز أو آلية التمايز[3] مع دمجها بفكرة (جاكندوف) التمثيل الدلالي للصورة، ويجب أن نأخذ في الحسبان أن التمايز ونظرية (جاكندوف) قد اعتمدتا على (الفعل؛ حدث) لترسيخ مناطق النفوذ داخل التركيب، ولقياس قوة التأثير بين المدلولات؛ وهذا من أبرز أسباب اعتمادها كظاهرة قياس واحدة لمعرفة قوة الصورة عند المتنبي وفق الأدوار الدلالية.

---

(١) جاكندوف، متخصص في علم اللغة.

(٢) انظر (دلالة أفعال الحركة) – مرجع سابق، ص٨١٧.

(٣) نظرية التمايز نظرية تعتمد على الافعال.

عندما يتمثل التركيب اللغوي في حالات الفكر والتجسيد الجمالي؛ فإنه يبلغُ أقصى فاعليته وإدراكه للمتغير وعليه نجد هذه الصورة عند المتنبي: [1]

وإنَّمـــا يَبْلُـــغُ الإنســـانُ طاقَتَـــهُ مـــا كـــلُّ ماشـــيةٍ بالرَّحـــلِ شِـــمْلاَلُ

إنَّـــا لفـــي زمـــنٍ تَـــرْكُ القَبِـــيحِ بـــهِ مـــن أكـــثرَ النَّـــاسِ إحْســـانٌ وإجْـــمَالُ

(شِملال : وشِمالٌ وشملالٌ وشِمليلٌ ، بكسرهن ؛ سريعةٌ) [2]

وهنا سنبدأ بتلمس بداية صناعة الصورة وفق (حدث - فعل) داخل التركيب الأول الذي يتموضع في الشطر الأول من البيت (إنما يبلغُ الإنسانُ طاقتَهُ)؛ وتموضع الفعل المضارع (يبلغُ) الذي تصدَّر المشهد الدلالي في التركيب (أ) وهذا المنطلق الدلالي يأخذُ محوراً ابتدائياً يميل في ظهورهِ الأول إلى اعتماد آلية (الإفراد uniqueness) التي تتموضع مع فعل واحدٍ يتمثل موضوعاً واحداً أي دور دلالي واحد؛ ولكننا هنا نعلم أن ظاهرة الإفراد هي في حالةٍ شكلية فقط؛ لأن الآلية المرتبطة في هذه الحالة يمثل في آلية (التمايز) بما تقتنيه من اضطرارٍ لقياس تأثير الفعل أو الحدث داخل التركيب، ولن نحكم عليها دون تحليل خيوط الدور الدلالي للصورة كاملة في هذا البيت الشعري مع تقسيمنا البيت لطبقتين (أ)، (ب).

---

(١) شرح ديوان المتنبي – ص٤٠٧.

(٢) القاموس المحيط – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي– مراجعة: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد – دار الحديث– القاهرة – مجلد واحد – ٢٠٠٨م، ص٨٨٨

هل نحن أمام التمايز القوي في الدور الدلالي أو تمايز ضعيفٍ يبحثُ عن معنى منتزع من تعدد تأثير الدوال أو تأثير الأفعال وإننا نجد أنفسنا أمام ثنائية خاصة بين (التعطيل والتفعيل) كما حدَّدنا تسمياتها وفق عمل الدور الدلالي في كلِّ تركيبٍ على حده ثمَّ في التركيبين معاً، لتتبع مقاصد الدور الدلالي، ولعلَّ أفضل وسيلة لتتبع المقاصد، تكون في القياس الفعلي للفعل (يبلغُ) مع ما يحملهُ من ارتقاءٍ وارتفاع في الدلالة، ومن معاينة الدلالة (وصل – أدرك - شارف - حصل)[1] : وهذه المعاني التي تنتهي في درجةٍ عاليةٍ من القوة والطاقة لكنها وظفت مع فعلٍ متعدٍ لا يكتمل معناه إلا باتجاه تحديد المفعول، وعلى ذلك كانت الفاعلية مؤثرة بكامل التركيب لخلق تجانس مع التركيب (أ) لربط الدوال كلها بنظام النحو وفق مستو واحد بعيدٍ عن تشعيب التركيب الأول بين تأويلات محذوفة أو مقدرة، (الفعل – الفاعل – المفعول به)؛ هذا الخط الدلالي الواضح جاء بعد (إنَّما) المكفوفة الكافة، الترتيب النحوي في درجة المشابهة التي تأتي مع أساليب القصر من مثل (إنما يخشى اللهَ من عبادهِ العلماءُ) [2] التي تلزم أن يتأخر المقصور عليه وجوباً؛ وإذا أجرينا القياس هنا على ترتيب القصر المقصود كان يجب أن تكون الجملة (إنما يَبْلغُ طاقَتَهُ الإنسانُ) على ما تحملهُ من توكيدٍ بـ (إنَّ) وبتوكيدٍ بحالة التقديم والتأخير بين أركان التركيب، ولكنَّ الدور الدلالي المنوط بالتركيب هنا ليس قاصداً قصر بلوغ السيادة والطاقة على الإنسانِ (من الفعل أطاقَهُ) بمعنى قدِرَ عليهِ، وهنا سنأتي لتأثير الدور الدلالي على الصورة العقلية المرسومة؛ وتتضح مقوماتها بوساطةِ الحدث الفعلي (يبلغُ) في حالةِ إفراده أو في كونهِ جملة (استئنافية)،

(١) القاموس المحيط – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي– ص١٥٧ –١٥٨

(٢) سورة ماطر، الاية ٢٨.

وتتكرر حالة التعطيل مع (إنما) والتعطيل مع القصر باستخدامها، وتثبيت حالة التفعيل للدال (يبلغُ) في المستقبل والفاعلية، والتمايز الذي أعمل دوراً دلالياً وأقفل الآليات الأخرى والتي منها (القوة النحوية) المؤثرة على كامل التركيب (أ)، وقد أدت دورها الابتدائي مع ما حملته من المعنى القصدي (كلُّ إنسانٍ يجري بالسيادة حسب طاقتهِ) وإعمال الدور الدلالي للحدث مع محيط الحقل الموضعي (positional field) الذي يترسخ مع الحدث في دلالة البلوغ لقصدية (إطاقة) أو السيادة[1].

يقول الشاعر المتبني[2]:

وفاؤكما كالربع أشجاد طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمة

وقول أيضاً[3] :

فجاءت يا انسان عين زمانه وخلت بياضاً خلضها ومأقيا

ويتمحور الحقل الموضعي وفق الدور الدلالي المنوط بالحدث ووفق مصفوفة مقولبة لجاهزية الفعل لأداء المهمة التي يجب أن يوضحها أو أن يقوم بها، وهذا التموضع دلالة (إنما) التي أعملت التنبيه والتأكيد وعطَّلت القصر جاء ليرسم قدرة الدلالة الخاصة بالفعل وحده على ما يحملهُ من أقصى الاتساع والوصول بذاته دون الحاجة إلى رسم تأويلات جديدة، ويحمل هذا في طياته فعل العادة (habitude) التي

(١) د. هيفاء حدة السفعي، الفاعلية في اللسانيات ، ص١٢٥.

(٢) شرح ديوان المتبني، ج٣،ص٣٢٦.

(٣) شرح ديوان المتبني ، ج٤،ص٤٢٥.

تحدُّ من حرية بعض الأجزاء لتفعيل دور السياق الدلالي أو الدور الدلالي ليأخذ منتها بتحديد التأويل النهائي للعلامة، وهي حرية مشروطة بالدور الدلالي، وهو مجبرةٌ على أن تقوم بالدور نفسِهِ الذي وضعت له وأُحدثت ضمن حقله الموضعي؛ وعن هذا يقول بورس "العادة التي توقف مؤقتا السيرورة السيميائية وتجمد حركة الفعل التأويلي، إنَّ العادة تجمد مؤقتاً الإحالة اللامتناهية من علامة إلى علامة أخرى لكي يتسنى للمتحاورين الاتفاق بسرعة على واقع ما داخل سياق إبلاغي معين، فهي تشلُّ السيرورة السيميائية: إنها عالمٌ الأفكار الجاهزة! بل إنها وليدة فعل علامات سابقة، ولهذا فإنَّ العلامات هي التي تؤدي تدعيم أو تغيير في العادات"[1] وسياق السيرورة يكمل المعنى بداهة لينطلق إلى تثبيت مصدر الفعل (يبلغ) ليصبح (بلوغ) الإنسان لمنتهى طاقته التي تتمحور حول الكلمة (سيادته)؛ وعليه فبلوغ السيادة عند الإنسان مرهونٌ بقدرته وطاقته الداخلية التي تُوهبُ له من الخالق العظيم، ولكن الشطر الأول ينقضي بدلالة ابتدائية ويقف عندها دون إكمال الجواب عن سؤالٍ مقدرٍ في الذهن (كيف يبلغُ الإنسانُ طاقته؟)؛ ويكمل الشطر الدلالة باستخدام فعل العادة (habitude) الذي يرسم المراد دون الحاجة إلى تأويلات جديدة تنضم لنفس التركيب اللغوي، وكأننا أمام المألوف المتفق مع سيرورة الحياة دون الحاجة لزيادة الكثافة اللغوية والدوال داخل التركيب.

(١) مطاردة العلامات ، عبد الله بريمي ، دار كنوز المعرفة – إربد ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٦م – ص٧٨.

وهنا تتخَلْقُ القوة التفسيرية بفعلٍ داخل الحقل الموضعي يستعين بنمط التركيب ليبلغ عن أقصى اتساعٍ دلالي دون الحاجة للتطنيب أو الإطالة؛ فإن كان من باب الاقتصاد اللغوي يكون في أروع إدراكه، وإن كان من باب الحقل الموضعي الذي يعتمد العلاقات المحورية لتشكيل قوة التفسير،" فإنه يبدو ظاهرياً وفق دلالة معجمية تتألف من مصفوفتين؛ مصفوفة أولى ربما تكون محورية (thematic tier) والتي تقوم بترميز المظاهر والتفاصيل التي ترسم الحدث، ومصفوفة ثانية هي (مصفوفة العمل Action tier) والتي تحدد تنوع التركيب النحوي بين الفاعل والمفعول عند أغلب الأفعال التي ترسم دلالة الحدث".[1]

(ما كلُّ ماشيةٍ بالرَّحلِ شِمْلاَلُ)؛ تتمظهر هنا تشكيلات المصفوفة الأولى التي تبرز المظاهر الدلالية لرسم الحدث بما يعنيه من استخدام دالٍ من مثل (شِمْلالُ) بما يعنيه من صفات ناقة قوية سريعة؛ وهذه الصفات المنضوية تحت الدال أكملت ما اقتضاه الحدث المتضمن في البيت وبما يحملهُ من طاقته عند الإنسان ليستطيع بلوغ السيادة والمكانة، وربما الحقل الموضعي (positional field) يساعد في تبني هذه المصفوفات وفق تآلف متناسق لترسيخ المعنى الكلي ضمن التموضع الصحيح الذي يحقق أقصى دلالة ممكنة، وفي مصفوفة البيت الثاني (إنَّا لفي زمنٍ تركُ القبيح بهِ) وهذا التموضع المؤكد بمؤكدين ليكمل معنى الحدث المطلوب، لتبرير مسوغات بلوغ الإنسان مكانته وسيادته، والتموضع الجديد لهذه المصفوفة، بما يخلق عاملاً مساعداً

(١) انظر (دلالة أفعال الحركة في إطار المعجم المولد) – مرجع سابق ، ص٨٧.

للمرسل لإثبات منطقية الحدث وفعل العادة، ولتبرير وجوده في الوصول إلى (السيادة – الطاقة)؛ وهذه الإحالات من مصفوفة (علامة) إلى مصفوفة أخرى (مساعد) ليتسنى للمرسل والمتلقي صناعة سياقٍ إبلاغي متفق عليه، ويكون وليد فعل علامات سابقة أو مصفوفات سابقة، وهذه العلامات هي التي ستؤدي إلى تدعيم في المنطق الدلالي لكل مصفوفة (علامة) مع مصفوفات متتالية (مساعدات)؛ وبذلك تخترق المساعدات فكر (المرسل إليه) مع ما يعنيه ذلك من حركة معاكسة عند المتلقي تواجه حركة المصفوفات المساعدة عن (المراسل)، قد وضح (غريماس)[1] بناء هذه العلاقة بما يتضمنه المبدأ الشكلي لها بداية؛ من حيثُ استراتيجية الخطاب ووظيفتها في تكوين الأشكال الجوهرية، وضمن علاقة صراع يتعارض فيها عاملان أو صراعان، أحدهما يدعى (المساعد) ويكون عادةً يقف بجانب المرسل، والآخر يدعى (المعاكس) ويقفُ عادة بجانب المرسل إليه؛ لأن الأول يكون مساعداً للذات والثاني يعمل على عرقلة جهود الذات التي تسعى جاهدةً لبناء الموضوع وعليه تحصل على العلاقة:[2].

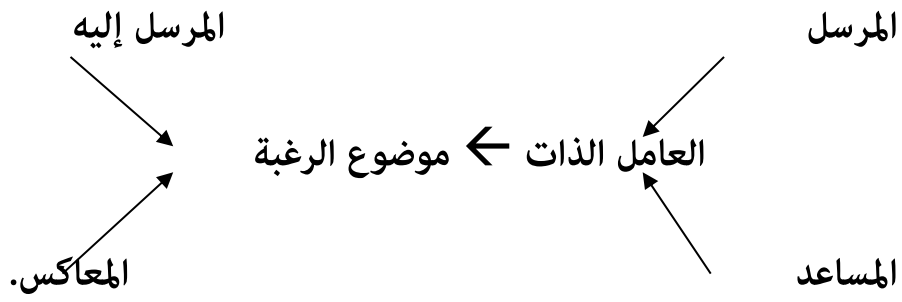

(١) غريماس ، جوليان ولد في روسيا وهو احد علماء اللغة.

(٢) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، ط١،١٩٩١ م – ص٣٦.

وعليه ربما تكون المصفوفات المساعدة لتوضيح، دلالة المصفوفة (العلامة)؛ (وإنما يبلغُ الإنسانُ طاقَتَهُ)، هي مصفوفات تكمل الدلالة في إظهار التكملة العقلانية لأسباب السيادة والتمكن؛ هذه العقلانية تتجلى في (ترك القبيح)، (إحسان وإجمال)، وتتكامل قوة المصفوفات (المساعدات) مع حدث المصفوفة (العلامة) بما يساندها من فعل العادة الذي ابْتُدِئ به (يبلغُ) والذي تصدَّر المشهد الدلالي كما أسلفنا سابقاً، وآلية الإفراد التي تأخذ محوراً ابتدائياً يميلُ إلى التموضع بين عدة مصفوفات قد لا تحمل إلا فعلاً واحداً ثم ينشأُ التمايز مع دوال أخرى وقياسات جديدة لقوة كل دال ضمن هذه المصفوفات (Tier)، وتندرج الأفعال التأويلية لتحكم المصفوفات والسياقات بما يضمن أنساق سياقية تكون مخصوصة، ويكون الدال ضمن مصفوفات السياق يملك دلالات راسخة ضمن الحقل الموضعي الذي تمركز فيه ويبني مغايراً عن حقل موضعي آخر قد يكون في تموضعٍ آخر؛ وبهذا يتأسس استحضار المؤول بما يناسب القدرة على الإمساك بالمعنى وقدرة التأويل عند المتلقين وتنتج مصدراً داخلياً يتطور تدريجياً إلى إنتاجٍ كليٍّ يخرج عن سلطة الزمان والمكان ويتجلى في الدلالة المطلقة.

وفي ذلك يقول المتنبي[1]:

والماء بين عجاجتين مخلص متفرقان به وتلقيان

(١) شرح ديوان المتنبي ، ج٣، ص٣١.

المبحث الثالث : أنظمة الاستدلال وأدواتها المنطقية :

تتنوعُ أساليب الاستدلال المستنتجة وفق معانٍ تتوزع بين دلالة الإعراب الاصطلاحي، ودلالة التموضع السيميائي لكل كلمة أو لكل تركيب؛ ويتكون سدى العلائق بفضل ترابط الأجزاء الملموسة وغير الملوسة داخل كل تركيب لغوي، وقد أقرَّ القدماء بهذه الحقيقة التي قسَّمت الجزء المكوِّن للمركب بين ملموس وغير ملموس، فالسيوطي كما بين د. خالد السويح يقر بوجودها ويعتبرها حاضرة في كل تركيب؛ "للفظ المركب أجزاء مادية وجزءًا صورياً وهو التأليف بينها، وكذلك لمعناه أجزاء مادية وجزء صوري، والأجزاء المادية من اللفظ تدل على الأجزاء المادية من المعنى، والجزء الصوري منه يدل على الجزء الصوري من المعنى بالوضع"[1] .

وعليه يتكون المركب من أنظمة الاستدلال المتوزعة بين التركيب المادي والصوري؛ ولعل درجة العامل تتماهى مع الجزء الصوري الذي يكون الرابط بين الدوال التي تندرج مع الجزء المادي الملموس، ويذهب النحاة إلى إيجاد هذه الروابط والاستدلالات في كل تقديم وتأخير وفي نظريات العامل، ويلتحق الإضمار بأنظمة الاستدلال وإيجاد قسط من التفسير الموازي، فيقوم التركيب بإظهار الدوال التي تتألف في التواصل المكاني مكتفياً بها وتاركاً التأويل يكمل الأجزاء الصورية مستعيناً بنظم الاستدلال المنطقي لخلق التوازن بين الملموس والصوري، ولا يمكن إنكار قوة الاستدلال كمكملٍ دلالي له قدرة الإبداع وإكمال حلقة الفكر والمعنى بين المرسل والمتلقي وفق أنموذج بنائي لا يتوقف عن خلق مساحةٍ فكرية أو شعورية مناسبة للتوجيه.

---

(١)د. خالد السويح، أسس الإخبار في الكلام (بحث في روافد إنتاج الفائدة) – ٢– ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١ ، ٢٠١٥م – ص٧١٧.

وقد يعجز التموضع المكاني للدوال عن القدرة للتواصل مع المتلقي فيقوم الاستدلال بسد هذه الثغرات والاستمرار في عملية الإنتاج التي تتواصل، وقد ذهب بعضهم إلى اصطناع مفاهيم جديدة لذلك من مثل مفهوم (الاستلزام Les implicatures) عند (Grice) غريس؛ وينص على التعاون بين تجاور المعنى بين التركيب والفرضية، ويتصدر الاستدلال كل القواعد ويصبح "منوال الاستدلال نظاماً من القواعد يربط جملة من المقدمات بنتيجة ما على نحو استنتاجي (deduct if) ويقترن وصف الاستدلال بكونه غير برهاني بنفي النزعة المنطقية الصارمة على عملية الفهم وصياغة الفرضيات. وهو ما هيَّأ لنعته بصفة التلقائية لكون خضوعه لقواعد الاستنتاجية لا يعني أن مسار الاستدلال في كليته موجَّه بالقواعد المذكورة".[1]

وتتم العملية التي تستند على نظام الفرضية التلقائية القابلة للاختبار العرفاني والحدسي بعد أن تنطلق المقدمات العقلية والحسية من المرسل بشكل تآلفي يتردد بين الملموس والصوري كما ذكرنا سابقاً، ولكنَّ القواعد الموجهة لا تتوقف عن عملية التصفيف الوظيفي لكل كلمة داخل التركيب لتبحث عن موطِئ التموضع الذي يسمح لها باستدراك ما غاب عن قدرة الملموس لتعوضه بالصوري واستلاله المعقول.

إن أريحية البناء الذي يرتكز على التنوع تتيح للمرسل (الشاعر) أن يبث كل ما يشغل باله أو يحاول قصديته دون أن يغفل أسلوب التركيب المجرد، وكل هذا لا يمكن أن يتمَّ دون ضوابط وتحت التجربة التي تجعل الفرضيات العقلية متسمة بتنوع قوتها الدلالية بما يسهم في تكوين المقصد النهائي.

---

(١) أسس الإخبار في الكلام (بحث في روافد إنتاج الفائدة) – ٢– (مرجع لسابق) – ص٧٢٥–٧٢٦.

وتتحول القرائن والمقدمات الابتدائية إلى نقطة ارتكاز للفرضية المطروحة وتتوزع هذه المرتكزات للاستدلال بين التحيين والمزامنة الفكرية للقول (ق) وبين واقعة فكرية أو شعورية (ع) وتتم الإحالة بين (ق) و(ع) في ممارسة استدلالية يقدمها المرسل (م) على أنها فرضيته الاستدلالية لبناء المعنى المقصود[1].

وربما نستطيع أن نوضع هذه المزامنة برسم أوجدناه في هذا البحث لتثبيت فكرة الفرضية الاستدلالية المنتجة للنص وفق مبدأ خاص.

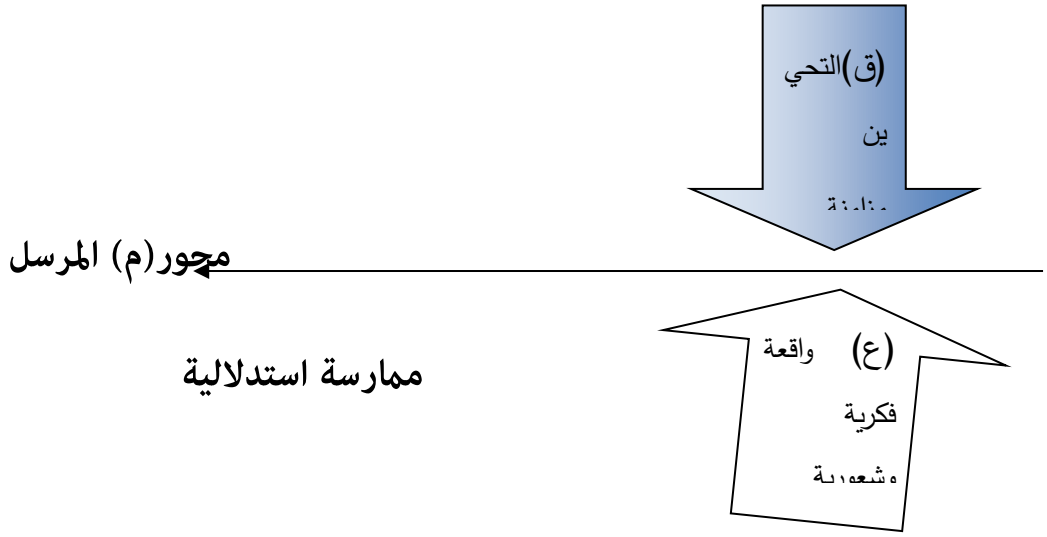

وقد نظّم النحو الوظيفي بعض طرائق الاستدلال محاولاً سدَّ الثغرات الدلالية في تصور المعنى وبناء الحجج العقلية ليستوي معنى التركيب أو الجملة، وقد جاءت نظريات الدلالة لتثبت بعض هذه الصفات لحركات الوظيفة النحوية أو لنقل الوظيفة النظمية حملاً على فكرة نظرية النظم عند (الجرجاني) وبما تحمله معها من تساند بين كل وظائف النحو والبلاغة والفكر المبدع، وقد ابتدأت فكرة النظم بشكلها الأولي على

(١) انظر(أسس الإخبار في الكلام – بحث في روافد إنتاج الفائدة) – ٢– (مرجع سابق) ، ص٧٢٧.

منحى الدلالة بكليتها وبمجملها عطفاً على مفصلها؛ وهي أنموذج لأنظمة الاستدلال التي عملت على تطوير الفكر العربي وحولته من الملموس المحسوس إلى المجرد المقاس الذي يؤلُ الكلمات ويسبك فكر العبارات، وقد حمل الشعر العربي كل صفات قدرة الاستدلال والإيجاز، ويمكن أن نسمي (الإيجاز) في سياق الشعر العربي على صفة باب الاستدلال والتأويل، وعليه يمكن أن نلخص هذه العلاقة بين النظم والكلمة وفق دالةٍ رياضيةٍ على شكل الصورة: [1]

ن (ك)

وهنا تكون (ك) التي ترمز للكلمة؛ وهي المتغير في هذه المعادلة الرياضية (Variable) ويمكن أن تتغير وفقاً للتركيب أو الجملة وتنوعها بين الاسم والفعل أو حتى الحروف العاملة؛ وهذا التغير بما يحمله من دلالات لا يمكن أن يعطي نظاماً معرفياً جديداً إلا بوساطة الطرف الأول من المعادلة الرياضية ونقصد هنا (ن) بما يحمله من رمزٍ لمعاني النحو ولتعلق الكلمة بما سواها من حيث المعنى لا اللفظ، وهنا يهمنا المعنى في الكلمة مع علائقها التأويلية بالتركيب من جهة وبطريقة النظم من الجهة الأخرى، وتبقى مسألة معاني النحو مرتبطة بالعلاقات المتحققة بالسياق والإعراب، ونحن لن نقوم بحجب وظيفة على إعمال وظيفة أخرى، ولكننا نعلم قدر التكامل الدلالي بين وظائف النحو بما يحمل المعنى بقصدية مناسبة.

(١) أسس الإخبار بالكلام – مرجع سابق ، ص٧٣٦ .

وباب التعلق وفق معايير النحو يتنوع بين تعلق اسم باسم أو تعلق فعل باسم أو تعلق حرف بها؛ وهذه المعادلات الاحتمالية تفتح المجال المنطقة دلالية تصطنع الأنظمة الدلالية بالمواصفة تارةً وبالاتفاق على المعنى العام تارةً أخرى، ولا يجوز بأي حال أن نبرهن على تغليب قسري على حساب المضمون أو أحقية الفاعلية، ويجب أن تغيب الأهواء الشخصية أو الانفعالية القهرية في التفسير والتأويل واستنباط الأحكام العقلية، ويجب أن يكون التوازن حاضراً بين اللغة والمرسل معاً فلا قصدية دون أسباب ظهورها مع أنظمة اللغة، ولا استرسال إنشائي دون القدرة من المرسل على تسخير قدرات اللغة بما يناسب قصديته وقواعد النظم السليم.

- يقول المتنبي في غرض المديح: [1]

أنـــــا مُبْصرٌـــــ وأظـــــنُّ أني نـــــائمٌ

مَـــنْ كـــانَ يحلُـــمُ بالإلـــهِ فـــأَحْلُما

كَـــبُرَ العيـــانُ عَـــلَيَّ حتّـــى إنَّـــهُ

صـــارَ اليقـــينُ مِـــنَ العيـــانِ تـــوهُّما

يـــا مَـــنْ لجـــودِ يديـــهِ في أموالـــهِ

نقـــمٌ تعـــودُ عـــلى اليتـــامى أنْعُـــماَ[1]

* الإبصارُ بابٌ من أبواب الرؤيا في روحانيتها أو فكرها، وباب الاستدلال ونظمه مرهونٌ بظهور أسباب الاستدلال المنطقي أولاً قبل النحوي؛ لأن استدلال المعنى بالمعنى قد يوجب التفوق للضرورة على استدلال المعنى للسياق والمواصفة، وتتنوع مطالب اللسانيين من قيام المعنى على ثنائية "النحوية" و"عدم النحوية" إلى القيام على ثنائية "المقبولية" و"عدم المقبولية"؛ من حيث مخالفة الصياغة عند (ك) الكلمة بما يجعلها في عدم المقبولية مع المعنى المطلوب أو لمفهوم الكلمة يكون مناقضاً للقصدية وللمعجم النحوي، ومن مظاهر عدم المقبولية الظاهرية في الشكل هو أنْ تُحْملَ التراكيب على سنن العرب مع مخالفتها المقصودية شكلاً كاستخدام الاسم المفرد بدل اسم الجمع رغم قصدية الجمع تماشياً مع سنن العرب اللغوية بعد أن وردت مقاييسها في القرآن الكريم كقوله تعالى للنبي الكريم: "هم العدو فاحذرهم" واستخدم المفرد (العدو) للتعبير عن جمع الأعداء وعوض الاسم المفرد مقام اسم الجمع[2].

---

[1] – شرح ديوان المتنبي – ص ١٤٨

[2] – انظر (إبستمولوجيا اللغة النحوية بحث في مقاييس العلمية ومرجعيات التأسيس والتأصيل) – د. زكرياء أرسلان – دار كنوز المعرفة – عمان – الأردن – ط١ – ٢٠١٦م – ص١٣١-١٣٢.

قواعد النظم مع التركيب (أنا مبصرٌ) مع جملة اسمية ابتدائية في حالة الضمير للمتكلم عند إقحام الحالة الذاتية ضمن الضمير ورسم نظام الاستدلال التلقائي لفرض صياغة الفرضية دون التوجُّهِ إلى استخدام قواعد التأكيد المنسوب لعلم القواعد وتردد التأليف التركيبي بين الملموس الذاتي والصوري المجرد مع حالة (الإبصار) وفتح دلالة العقلية لتكون سنداً لضعف التموضع المكاني مع جملة اسمية خالية من المؤكدات النحوية أو الدلالية وهنا سنبدأ بتقصي مفهوم (الاستلزام) الذي يتكون من تجاور المعنى مع تراكيب لاحقة أو سابقة في منوال الاستدلال على طريق يبدأ بالشكل:

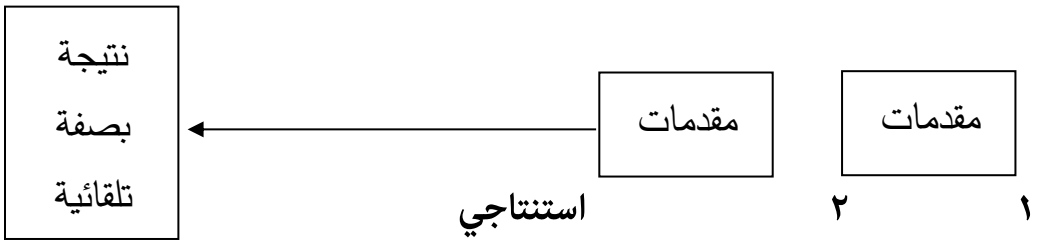

(deduct if)

النتيجة لا تخضع بالضرورة لقواعد صارمة مما يعطيها المعنى العرفاني مع تحولاتها؛ فنبدأ بالمقدمة (١) وهي التركيب (أنا مبصرٌ) ثم المقدمة (٢) وهي الجملة (أظنُ أني نائمٌ) وتتبادرُ المقدمات في طرح القضية التي تبتدع مبدأ التنافي بين المقدمة (١) و(٢) في حالة الإبصار وفي حالة (الظن وعدم اليقين) مع وجود قوة للمصدر المؤول من (أني نائمٌ) مع تقدير المصدر (نومي)؛ وهو من المظاهر التحويلية في التأويل مع مظاهر مثل: (الحذف، الإضمار، الزيادة، التقديم والتأخير)، وهذا كله يتطلب المعنى العرفاني مع حالة التحويل بين المقدمة (١) المحسوسة ثم المقدمة (٢) المجردة في حالة

الظن وعدم اليقين وقوة المظاهر التحويلية للتأويل وتوالي الأنظمة الاستدلالية يقوي النص والتراكيب، ويرى بعض النحاة أن النص إذا دخله التأويل يصبح أضعف قوة أو رتبة وذلك إذا لم يجدوا أحقية التأويل؛ لأن الأولى الحمل على الظاهر، فالتركيب الذي لا يفتقر إلى تقدير أولى من التركيب الذي يفتقرُ إلى تقدير لإيضاح قصديته.[1]

وقد يخفض التأويل قوة التركيب بعد أن حُمِلَ عليه ولم يصرح به ظاهراً في خطوات البحث عن القصدية؛ ولكنَّ هذه المقدمات قد تعمل وفق مقاييس توازنيه في مجملها لتتلخص في نتيجة بصفة تلقائية عرفانية، ويحمل التركيب إعمال كل القوى النحوية وغيرها وإهمال بعضها ثم التجمهر في نتيجة كلية (استنتاجية) تكون عن المتلقي الذي يحاول تلمس خيوط المعنى ولكن تنوع المقدمات بين الإعمال والإهمال، وبين القوى المخالفة للقواعد المعيارية أو الموافقة لهذه القواعد؛ تساهم كلها في اصطناع القصدية الاستنتاجية (diductive)، فيأخذها المتلقي بمجملها على حد تعبير فهمي يصل به إلى ما يريد.

مرة أخرى عند المعادلة الرياضية السابقة:

ن (ك)

ووفق مبدأ النظم وما يتضمنه من قوى مختلفة تحبط الاندفاع الدلالي أو تثبته في كل تركيب مع متوازنات عقلية تظهر بين المقدمات الأولية، وتنوع الأساليب

---

(١) انظر (مظاهر نظرية التحويل؛ عند تشومسكي في الدرس النحوي العربي دراسة نظرية تحليلية) – د. ابتهال محمد البار – عالم الكتب الحديث – إربد – الأردن – ط١ – ٢٠١٤م – ص١١٣.

الشعرية بين الخبرية والإنشائية يساعد في بناء حالات الترسيخ أو العصف الذهني للمتكلم بين الثبوت والنفي وبين التصريح والإظهار، مع حمل خبرية (أنا مبصرٌ)، وأخرى إنشائية بهدف نقل الفاعلية باتجاه المتلقي وتماهيه مع تكوين المقدمات على خلاف كلمة الصدق والكذب في الجمل الخبرية؛ تكون الجمل الإنشائية مفروضة في القيمة التي تحملها على المتلقي وتأتي بصور عقلية وجدانية بعيدة عن الإقصاء؛ ويبدو أن هذه المسلمات البسيطة بين الخبرية والإنشائية لا تكتسب قيمتها على نحوٍ تقليدي مبهم بل تقتبس الدلالة بشكلٍ جديدٍ يحاكيه بعض التعقيد لالتقاط تحليل هذه الجمل بين الموضوع والمحمول في محاولةٍ للعثورِ على الفاعلية الرئيسة، وسنعود مرة أخرى إلى:

الجملة الخبرية (أنا مبصرٌ) (أ)

وإلى الجملة الإنشائية (من كانَ يحلمُ بالإله) (ب)

ونحن هنا نحتاج إلى تنويع السؤال حتى يتماهى مع الإجابة، في الجملة الخبرية يصح قول (صدق) (كذب) بما يتعدى على وجود الجملة بحد ذاتها، أو لنقل فائدة الخبر بين الثبوت والنفي، وفي الجملة الإنشائية يتكون عندنا متتالية أخرى (نعم) (لا) أو متتالية تتطلب التعيين وذكر اسم المعين المطلوب، وبهذا نحتاج فعلياً لنقل الفاعلية بين المرسل والمتلقي من حيث الدلالة على أقل تقدير، وقد نحتاج إلى تحويل يخالف القاعدة المعيارية في بناء الجمل الخبرية أو الإنشائية، ويحمل في مضمونه عملية نقل

للمبادرة والحكم العرفاني بين طرفي الخطاب، وتنقسم اللغات إلى لغات ذات الفاعل الفارغ (null subject languages) وإلى لغات ذات الفاعل غير الفارغ (non- null subject languages) ، وعليه فإن هذا التقسيم يتقارب مع وجوده الفعلي في إعطاء الدلالة وخلق التقييم، وتبدو اللغات متشابهة شكلياً في حدود هذا التقسيم لكنها تختلف في بناء القيمة الفاعلية جوهرياً، فاللغة الإنكليزية مثلاً؛ ورغم انتمائها إلى قسم اللغات ذات الفاعل غير الفارغ ولكنها تستغني عن دلالة هذا الفاعل في كثير من الجمل وتكتفي بالإشارة إليه رغم وجوده في الجملة من مثل[1]

(أ) It is raining

هي تكون تمطر

(ب) It seems that John is here

هو يبدو أن جون يكون هنا

ونرى الفاعل (It) في الجملتين (أ ، ب) ووجوده ظاهر رغم كونه لا يسهم في معنى الجملة؛ وهو لا يعني شيئاً إلا بقدر كونه أنموذجاً للإحالة إلى شيء آخر، ويبدو هذا الفاعل قبل الفعل في الجملتين ووجوده صريحاً هو نوع من الترسيخ الإحالي بين كل لغة، ونظام اللغة العربية ينتسب لقسم اللغات ذات الفاعل الفارغ أو ما يمكن بتسميته (dummy) وهي بذلك تسمح باستتار الفاعل، وعند العودة لفكرة الجمل

---

[1] انظر (النظرية النحوية) – جيفري بوول – ترجمة: مرتضى جواد باقر مراجعة: د. ميشال زكريا– مركز دراسات الوحدة العربية – المنظمة العربية للترجمة – بيروت – ط١ – ٢٠٠٩م – ص٥٦–٥٧.

الخبرية وفكرة توالي المشاركة مع المرسل إليه أو المخاطب وما مدى تأثير نقل خصائص الجمل الإنشائية إليها ربما سنستطيع تلمس مبدأ نظرية (تشومسكي) عند القواعد الكلية (ق ع) (UG) (Universal Grammar) حيثُ اكتسب الجزآن المركزيان فيها دور المبادئ (primciples) والوسائط (Parameters)، وهما يستطيعان تفسير قوة البنية في الدلالة وما تقوم به من تحولات داخلية أو خارجية.

وهناك نماذج متعددة في اللغات عن مشاركة الجمل الخبرية لدلالة الجمل الإنشائية في بنيتها البينية مع المتلقين حولها، وعندنا حالات من هذه القولبة: [1]

(ج) The man who has written the book will be followed

الرجل الذي كتب الكتاب سيلاحق

وباستخدام المقاربة التي تنظر إلى الجملة باعتبارها شيء له بنية، ومن هنا يمكن تقسيمها إلى (موضوع) subject وإلى (محمول) predicate، وقد تخطَّت الجملة المقولة التي عاملتها على مبدأ توالي الكلمات المتسلسل فقط، وقد أمكن هنا تحويل الجملة السابقة حسب مبدأ البنية والموضوع والمحمول على الشكل:[2]

الموضوع (subject):

- The man who has written the book

المحمول (Predicate)

---

[1] انظر (النظرية النحوية) – مرجع سابق ، ص ٥٩-٦٥

[2] انظر (النظرية النحوية) ، مرجع سابق ، ص٦١-٦٢.

- Will be followed

وقد تحول الموضوع إلى علاقة مع المحمول في بنية واحدة تتكامل في أجزائها، ويمكن هنا أن نضع سلسلة من هذه التكاملات بين عدة أنواع، وبالعودة إلى الجملة (ج) فإننا نراها جملة خبرية قابلة للتصديق أو التكذيب وبإمكاننا أن نقوم بتعويض علاقة الجمل الإنشائية ضمن علاقة الجمل الخبرية في محاولةٍ لتضمين علاقة المخاطب ضمن البنية الجملية في حالتيها الخبرية أو الإنشائية وفي الجملة (ج) نقوم بنقل الفعل المساعد إلى بداية الجملة الخبرية لتصبح:

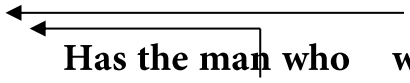

(د) Has the man who written the book will be followed?

وتحول الجملة الخبرية إلى نمط الجمل الإنشائية يساهم في تحول العلاقة بين الموضوع والمحمول بدرجة المشاركة أولاً قبل البحث عن الشكلية أو الحكم على الصدق والكذب، وإدراج المحمول على قائمة بنية الجملة يساعد في اعتماد فكرة القصدية ويستطيع بذلك بناء النظام الدلالي والإغراق في التفكير والعقلانية الحدسية التي تنظر لقوة الاستنتاج والعرفان بموازاة قوة الأنظمة أو لنقل قوة النظم التي كانت في المعادلة الآنفة الذكر ن(ك).

وهنا يوجد فارق بسيط بين المقبولية والنحوية في استقبال بنية الجملة التي اقتسمت بين الحامل والموضوع؛ وفي (النظرية التوليدية) التي خلقت معنى المقبولية (acceptability) ربما نجد ضالة هذا التوفيق بين العلم الوضعي وبين اللغة المعيارية،

وهذا يقودنا إلى مقولة: "إذ البلاغة تبدأ عملها عندما يستوفي النحو مهمته. إذ من غير المنطقي النظرُ في بلاغة جملة لاحِنه (لا نحوية)، طبعاً ينبغي الأخذ بالنحو في مفهومه الواسع بما هو سَمْتُ العرب ونهجُهم في تصريف الأقوال وإنشائها."[١]"البحث مع مضمون النحو وليس البلاغة" وعليه فإن النظر بالخبرية والإنشائية مع مضامين علم النحو يكون أقرب إلى فكرة البنية الفاعلة التي يصاغ منها الكلام أو اللغة؛ وتتفرع فكرة البنية إلى داخلية وخارجية مع وجود فكرة الفاعل (dummy) الذي جعل من مقياس العربية لغة ذات فاعل فارغ بمعنى المصطلح السابق الذي ذكر عند الحديث عن الوظيفية، وتتفاعل فكرة الجملة (ب) (من كان يحلمُ بالإله) وتأتي مع غياب الفاعل الذي جعل منه علم النحو (اسم الفعل الناسخ) مع غيابه وتقدير "من كان هو (يحلمُ)" الاسم المقدر للفعل (كانَ) مما يجعلها تشكل مكوناً جملياً واحداً؛ "كان وأخواتها، وهي أفعال تشكل مع الفعل الذي يليها مكوناً جملياً واحداً. من هذا المنطلق إذا تصورنا البنية الداخلية للجملة الفعلية هي :[٢]

فعل – فاعل – مفعول فهذا يعني أن أصل الجملة من قبيل:

أخذ الرجلُ يقرأُ الصحيفة.

وكان الرجلُ يقرأُ الصحيفةَ هو:

أخذَ يقرأُ الرجلُ الصحيفةَ.

---

[١] الأسلوبية والتداولية؛ مداخل لتحليل الخطاب – د. صابر محمود الحباشنة – عالم الكتب الحديث – إربد – الأردن – ط١ – ٢٠١١م – ص٦٢.

[٢] التركيب والدلالة والسياق؛ دراسات تطبيقية – د. محمد احمد خضير – مكتبة الأنجلو المصرية – مطبعة محمد عبد الكريم حسان – ط١ – ٢٠٠٥م– ص١٥٠.

وكان يقرأُ الرجلُ الصحيفةَ

ولعلنا نستطيع أن نقدِّرَ الجملة السابقة (ب) بالشكل:

(كانَ يحلمُ هو بالإله)

مع تقدير بنية داخلية وجملة واحدة في الفعل الناسخ والفعل الذي يليه، وتأتي الزيادة الدلالية لمكون جمليٍّ واحد لتضخ قيمة أخرى للتركيب بمجمله في تصديرها النهائي مع تركيب مكون يضم أكثر من فعلٍ، وهذا يتفق طرداً مع منهج اللغة العربية أو بعض اللغات الأخرى. ووجود التكوين الجملي الجديد يزيد الدلالة على عكس احتمال قولنا مثلاً:

* (من يحلمُ بالإلهِ فأحلما)

وقد أوردت العربية قاعدة الزيادة في البناء تؤدي لزيادة في المعنى، كما أورد ذلك (ابن جني) : " الأصوات تابعة للمعاني ، فمتى قويت قويت ومتى ضعفت ضعفت ، ويكفيك من ذلك قولهم: قطع وقطّع وكسر و كسّر زادوا في الصوت لزيادة المعنى واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه " [1]وقد جاء علم اللغة الحديث عند (فان ديك) وغيره من علماء اللغة ليؤكد على ترابط بين التراكيب الشكلية مع البنيات الدلالية السيمانطيقية والتماهي مع المستوى الشكلي والدلالي، رغم أن قصد الزيادة في العربية

---

[1] المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – ج/٢ ، أبي الفتح عثمان بن جني، بتحقيق : علي النجدي ناصف ، د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، عبد الحليم النجار، المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية ، لجنة إحياء كتب السنة ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص٢١٠

يحمل بشكله الكمي وبشكلهِ الجذري الذي ينسب المعنى للجذر أولاً ثم الإضافات الجديدة مع كل صيغة جديدة تضاف للمعنى الأصلي للجذر[1] .

وقد لا تكون فائدة التكرار للدال (العيان) في قول المتنبي لمجرد التكرار التأكيدي كما جرت العادة هنا :

(كَبُرَ العيانُ عليَّ حتى إنه صارَ اليقين من العيان توهما)

وقاعدة الزيادة باعتبارها مثل المركب الكامل بين قوسين لأنها تؤدي وظيفة واحدة ضمن المعنى القصدي العام، ويكون حجم القيمة أو الزيادة في المركب الجملي من باب القيمة الدلالية الفاعلة مع تغيير الترابط لخلق تنمية جديدة للمعنى الجديد الذي أوجدت له الكلمة (عيان) بين موقع الفاعل بدايةً ثم الوقوع دلالياً بموقع تأويل دلالي يخالف جرها (من العيان) ويتجه نحو الابتعاد عن وظيفية الخفض (الكسر) للاتجاه على تقدير؛ (صار اليقينُ عياناً) وهي الدلالة القارية التي غطتها التحولات

[1] انظر (الأسلوبية والتداولية) – مرجع سابق – ص٧١.

المبحث الرابع : دور اللغة في تمظهرات الأسس التجريدية داخل الصور العقلية :

مقدمة :

يتمثلُ التجريدُ[1] في القدرة على استنتاج العلاقات التي تحكم الأشياء وتؤسس نظامها الداخلي والخارجي ؛ ولا يتطور إلا ضمن مناهج عقلانية تستطيع الاستنتاج بالاعتماد على دراسة لحركة المدروس أو الأنموذج المراد تطبيق الأسس التجريدية عليه ، ولأن اللغة هي جزء من المكونات الناظمة للعالم الواقعي والمجرد ؛ فإنها تساهم في تقصي حقائق العلاقات والمساهمة في بنائها بما يناسب المهام الموكلة لها ، ونحاولُ في هذا المبحث تكوين فكرة مهمة عن قدرة اللغة في تقصي نظم التجريد الفكري في الصور الشعرية عند المتنبي بما يؤدي لمعرفة أسباب النمو الدائم في تلك الصور الشعرية، ومناسبتها للإبداع المستمر في تأثيرها على المتلقي رغم بعد الأزمنة وتغير التصور الفكري عند الأجيال المتعاقبة .

مفهوم (التمكن) النحوي :

تتنوع قدرة النحو على بناء التصور العقلي لكل جملة ؛ وهذا التنوع يحدد الارتباطات المتوقعة لكل مفردة معجمية بما يناسب قصدية القول ، وقد يأتي بشكل مصطلح متغير يدل على معان من مثل ؛ التمكن النحوي: بما يحقق الدلالة النحوية " Combinatorial semantics هي النسب القائمة بين مواقع الكلمات في الجملة"[2]

---

(١) التجريد: يعود للمدروسية التجريدية والذي يسهم في تقصي حقائق العلاقات والمساهمة في بنائها.

(٢) ـ علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، د. أحمد نعيم الكراعين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص٩٨ .

، ويساهم في عملية عزل الجملة عن الزمن المتوقع والمكان المفترض ؛ مما يساعد الجملة على تقصي كل قدرات المعنى والأسس التنظيمية التي تؤسس التجريد الفكري الذي يقاوم التغيير الزمني الذي قد يطرأ عليه أو يغيب معناه ، كما يساهم مفهوم التمكن بمعناه المتوقع في دمج أقسام الكلم بطريقة" تتوزع العناصر المتمكنة على المحلات. ورغم أن هذا التوزيع لا يحيط ، من الناحية العملية ، بكل الحيثيات التي تتصل بأنواع الكلم ، فإنه يشكل، على الأقل ، الأساس النظري الذي بموجبه تتفرع عن قائمتي العناصر المتمكنة، والعناصر غير المتمكنة قوائم أخرى محكومة باعتبارات مختلفة نحو اعتبار(الشبهة) أو اعتبار (الأصالة والفرعية) "[1] ؛ و يدرج التمكين داخل النص في مستوى عاملي وآخر مقولي يشتغل عامودياً للبحث في قوائم المقولات المتوقعة من النص ، ويكون مفهوم التمكن نقطة التلاقي بين المستويين ، حيث يكون عامل توافق بين المستوى الأفقي(العاملي) من جهة ؛ والذي يختص بإنتاج الجمل اللغوية وبإسناد العامل اللامحلات حيث يشكل تجريداً عقلياً لترابط الكلمات المعجمية بين بعضها بعضا بعلاقات منطقية تقديرية ، وبين المستوى العامودي (مقولي) من جهة ثانية ، والذي يختص بتعيين العناصر اللغوية التي حقها أن تدرج للملء المعجمي داخل النص [2].

مفهوم التمكن ـــــــــــــــــــــــ المستوى العامودي (المقولي)

---

[1] – إبستمولوجيا اللغة النحوية (مرجع سابق) – ص ٣١١

[2] – انظر (إبستمولوجيا اللغة النحوية) – مرجع سابق ، ص٣١١

المستوى الأفقي (العاملي)

ويؤدي المستوى العاملي وهو واحد الافكار الجديدة قدرة كبيرة على تغيير المعنى بما يناسب القصدية القارة (النواة) في الجملة ، ويؤثر على تراصف الوحدات المعجمية داخل التركيب اللغوي ، ويعد الغياب المضمر جزءاً من وجوده وعمله الدلالي ، ومن هذا الإضمار الدلالي يكمن نمط الإرجاء بمعناه النحوي أو البلاغي ؛ وقد تتعقد علاقاته بما يناسب الحمل على المعنى تارة، أو أحقية التركيب النحوي، أو العاملي تارة أخرى ، وهذه التراكيب اللغوية تلجأ لظاهرة "تمكن النحو" في بناء علاقاتها مع المستوى العاملي، وتأتي بدوال جديدة تناسب قاعدة التمكن النحوي أو العاملي لتناسب القصدية ، ويتعالى البناء العقلي داخل التركيب ليكون في قيمة الإرجاء فعالاً كما في قيمة الإبلاغ والتصريح

ومما جاء في شعر المتنبي متفقاً مع قيم العاملي والمقولي ممنهجاً لظاهرة التمكن قوله: [1]

وخيلٍ ما يخرُّ لهـــا طعينٌ كـــأنَّ قَـــناَ فوارِسِـــهَا ثُمامُ[2]

خَليلُك أنتَ لا مَنْ قلتَ خِلِّى وإنْ كَثرَ التَّجمُّلُ و الكلامُ

ولو حيزَ الْحِفاظُ بغَيْرِ عقلٍ تَجنَّبَ عنقَ صَيْقلِهِ الحُسامُ

---

[1] شرح ديوان المتنبي – ص١٩١-١٩٢

[2] انظر (القاموس المحيط) ؛ ص ٢٢٣ (الثُّمام : نبْتٌ ؛ ويستخدم لإزالة البياض من العين ، واحدته بهاء؛ وبيتُ مثمومُ : مغطى به ؛ ويقال لما لا يعسر تناوله)

يستعمل المتنبي بعض التعابير التي تلجأ لظاهرة منطق اللغة في كنهها الذي لا يغيب إلا ليترك وراءه قرائن الوجود ؛ مثل الإضمار ، وكل ذلك في إطار وجود الدلالة التي تعي منطلقها ومنتهاها في كامل الأثر اللغوي ، وقد يتفرع عن ذلك الإرجاء وجوب الأخذ بآلياته التي تنتمي في مجملها لطرف قوة التمكن التي تنضوي تحت أسلوب القصدية اللغوية؛ ومما جاء في الإرجاء دراسة لجوفري نانبرغ[1] (Geoffrey Nunberg) في ما أسماه التأويل الإرجائي (deferred interpretation) ؛ ويعني إذعان التعبير لمعنى لا ينتمي إلى المعنى الصريح للتعبير كما وضع له في الأصل ، وهو قوة سيطرة على التعابير لصناعة معنى يخالف المعنى الأصلي الذي وجدت له التعابير والمتفق عليها ، وهذه القوة الإرجائية تصنع من التركيب أو التعبير استطالة جديدة للتركيب اللغوي نفسه مما يزيد في التركيب وقدرتها على رسم المعنى والاستنطاق الكامل لفحوى الخطاب اللغوي الذي انبثقت عنه ،وقد يخضع التمثيل (figuration) لقوة الإرجاء باعتباره وسماً للغة يطبعها بشكله ومبتغاه كما يراد له ، ولكن هذا الإرجاء غير ثابت النتائج بطريقة أو بأخرى عندما يخالف التواضعية (conventionalization) ؛ حيث تحتفظ كل كلمة في التركيب اللغوي بمعناها ، فقط عندما نستطيع خلق روابط جديدة لها تنسينا معناها الأصلي الذي وضعت له واكتسبت دلالته [٢] .

---

(١) جوفري نانبرغ ، عالم لغة بريطاني.

[٢] انظر (قضايا في السيمياء والدلالة) _ د. صابر الحباشنة _ دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع_ عمان _الأردن_ ط١_ ٢٠١٥م _ ص٦٠-٦١

وبالعودة لشعر المتنبي نجد ذلك التواضع الجديد لقوة الإرجاء مع تموضع الدوال بما يناسب المعنى الذي أوجدت له حديثا ؛ والنكوص عن المعنى التقليدي حتى في وجوب وجودها داخل النص القديم ، وابتداءً من كلمة (ثُمام) وما تحمله من معنى قديم قد أوردت روابطها بما يناسب معنها الأصلي وهو (الثمام و اليثموم نبتٌ ؛ وقد يستعمل لإزالة البياض من العين ، واحدتِهُ: بهاءٍ. وبيتٌ مثمومٌ مغطى به)[1]؛ وعليه فإن صناعة المعنى لهذه المفردة تطلب دخولها استعمالاً مناسبا للتمكن النحوي لتناسب وضع المعنى الجديد وبناء روابط كاملة لها ؛ فاستخدمت في مقام الحرب للدلالة على ضعف الخصم في عداوته (كأن قنا فوارسها ثمام)؛ هذه الرماح تشبه الثمام في ضعفها وهزالة قوتها مثل النبات الذي يلين عوده فلا يقوى على الحرب ، وهو من جديد ما استعملت به في كل الشعر العربي ، وقد جاء بما يناسب المعنى الجديد في كل علاقاته ، وهذه الإحالة على التمكن النحوي (المستوى العامودي؛ المقولي) قد ساهم في هذا الالتزام في التركيب الجديد وسبل الوصول الأمثل للقصدية الجديدة ، مما ألزم المتنبي أن يطرق معانٍ لم تستلزم هذه الكلمات من قبل ، وعند البحث في سبل هذا الاستدلال نجد أن الكلمة تحولت في دلالتها المعجمية لتقوم مقام الوظيفة النحوية ؛ و يساهم التمكن النحوي هنا في قدرة الشاعر على تحويل اسم نبات لصيغة نحوية ذات دلالة عن الصفة بعد أن وظفها للدلالة على الضعف وعدم القدرة على المجابهة لتؤدي غرض الهجاء ، وقد جاءت التواضعية (conventionalization) بما تحمله من

---

[1] قاموس المحيط_ العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي _ص١٠٨٥

سمات وظيفية لتكوين هذا التركيب المصطنع لدلالة الاسم (نبات) على وظيفة الصفة ؛ وتظهر الوحدات المعجمية هنا وهي محملة بخصائص دلالية ومحورية ، وتبدو بعض المبادئ التي تتحكم في قيم الربط وأشكالها بين ما يحتويه المعجم ويسقط بالإهمال وقلة الاستعمال الدلالي له، وبين ما يولده ذلك التركيب الجديد فيخلق يذلك الجديد توافقا بين كمية المعرفة التي يسقطها التركيب اللغوي، وبين العلائق المعجمية ومكوناتها التركيبية ،وتتضح هنا الصورة المنطقية للغة (logical form) وهي مستوى نحوي تتمثل فيه كل العلائق النحوية الممكنة ، بل نرى ضمن الصور المنطقية قدرتها على نقل قواعد تنطبق على منهج القواعد التركيبية مثل قاعدة تحديد الكمية (Quantifier Raising)، وقاعدة

تأويل البؤرة (Focus Interpretation) وقاعدة مثل نقل المركب الاستفهامي إلى صدر الجملة [١].

وقد جاءت رمزية الصفة عند تشومسكي على الرمز (+ س ، +ف)[٢] وهذا النمط من السمات مع ما يحمله رمز(س) للاسم ، ورمز (ف) للفعل ؛ ويتضحمن وجود الصفة باعتبارها تميل بين وظيفة الفعلية وصفات الاسمية ، مما يجعلنا نحملها على أوجه الدلالة والبؤرة التي تستطيع تغيير محتوى الجملة التي تسبقها كاملة، وهنا تأتي أهمية تأويل البؤرة المعجمية المتأخرة التي حملت معنى الاسمية والفعلية في

---

(١) انظر (البناء الموازي؛ نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة) ، د. عبد القادر الفاسي الفهري ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ،١٩٩٠م ، ص ٢١ –٢٢

(٢) انظر(البناء الموازي؛ نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة) – مرجع سابق ، ص٢٣

بنية جديدة تحمل سماتهما معا بعد أن انتقلت من اسم متداول إلى حالة صفة الضعف ووظيفة العاملية مع المستوى الأفقي من التمكن لأنها حولت المعنى العام للتركيب وغيرت مفاهيمه بشكل كامل .

ويمكن أن يكون الاختلاف بين الحالة الوظيفية والحالة التداولية داخل التركيب نوعا من الدلالة التي تخلق بؤراً جديدة للمعنى وقدرته على الانتقال بين المستوى الأفقي والمستوى العامودي ، وعليه فإن (خليلُكَ أنت لا من قلتَ خلِّى) [١] تركيب يعمد إلى حالة الوظيفة لضمير المتكلم الذي يعمل كضمير فصل في حالته التداولية قبل الحالة الوظيفية التي ترفعه على الابتداء الدائم ، وقد يكون هنا في حالة من التخصيص الذي يساعد على تكريس المعنى قبل أن يحاول إنجاز وظيفة نحوية لا غير ؛ وقد جاء النص في حالة ضمير الفصل في الاختصاص كجانب تداولي في الآية الكريمة" إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبتَرُ "[٢] ويستخدم ضمير الفصل (هو) هنا للاختصاص ؛ ومن مهام ضمير الفصل في العربية وظيفة إزالة اللبس ، وتحديدا الخبر وقد أطلق الكوفيون عليه اسم (عِمادا)؛ لأنه يعتمدون عليه في تحديد الخبر [٣]؛ وفي ضوء هذا المنهج يكون ضمير الفصل هنا من باب الاختصاص الذي يحدد المعنى، وتعتمد طريقة الفصل هنا (dissociation) على الفصل بين عناصر تفتضي وجود وحدة بينها في الأصل ؛ ولها مفهوم واحد يجمعها ؛ لأنها ترجع إلى اسم واحد يعينها ويحدد وجودها في التركيب

---

(١) عبد القاد الفارس الفهدي، ص٢٣.

[٢] سورة الكوثر:٣

[٣] انظر (قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب) ، د. محمد محمد يونس علي ، دار الكتاب الجديد المتحد ، بيروت ، لبنان، ط١، ٢٠١٣م ، ص٧٢

اللغوي ، وعُمِدَ إلى الفصل وكسر هذا المفهوم الواحد لأسباب دعا إليها الحِجاج ، وقد بني على عناصر ثنائية (الظاهر/ الحقيقة) ؛ ويتمثل الظاهر بالحد الأول، والحقيقة بالحد الثاني من التركيب اللغوي المنطقي ، على اعتبار كل شيء بالواقع له حدان أو جانبان ؛ ظاهره وحقيقته ، ومثال ذلك أن يقال عن شخص لا يمتلك مروءة" ليس هذا الإنسان بإنسان" ؛ فحده الأول كلمة (الإنسان١)؛ الذي يمثل وجوده في المجتمع بالظاهر ، وترمز كلمة (الإنسان٢) إلى حقيقته مطلقاً في الصورة المثلى كما صورها الدين والأخلاق والثقافة ، وتستطيع بذلك أن تقرِّب بين العناصر المتباينة التي ساهمت في بناء التركيب وتخلق ضربا من التوضيح بين تلك العناصر بوساطة الآخر[١].

ويتواضع الحدان (خليلك) (أنت) بعد أن يعيِّنا اسما واحدا يجمعهما في التركيب اللغوي وهو(ذات الإنسان) ؛ ويتحد الظاهر في الحد الأول حين يقصد به الصديق الوفي، وينقلب الحد الثاني على نفسه للتوضيح استعمل الضمير (أنت) للدلالة على الحقيقة التي أرادها الشاعر في إثبات الفكرة القائمة التي اعتمدت على أسلوب الضمائر والحدود اللغوية المنطقية للتمكن والحجاج ، ولا يزال النص يبوح بقدراته الكامنة التي تتعانق لغويا ونحويا لإظهار ما يؤكد المعنى ويقوي العلاقة البينية بين كل كلمة وتركيب داخل النص، ويندمج التركيب الثاني (لا من قلت خلي) في حالة جديدة مع إكمال المعنى القصدي ؛ ويأتي الضمير المتصل (تاء الفعل) في حالة الإعادة على التركيب الأول(خليلك أنت) ؛ فالأصل به أن يعود الضمير على المتقدم في الذكر ،لأن الضمائر لها طبيعة " ملبسة " فلا تتقدم على المراجع التي تتبعها إلا في حالات

---

[١] انظر (الحِجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية) ، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، لبنان ، كلية الآداب والفنون والإنسانيات ، دار المعرفة، تونس، ط٢ ،٢٠٠٧م ، ص ٣٢-٣٣

معروفة ، ويقترح (هاليداي) و (رُقية حسن) وهذه الحالات يمكن أن يزال بالرجوع إلى المعنى القصدي ، ويكون أثر النحو في الموضوع (them) ؛ اي المتحدث عنه، وهكذا تصاغ قاعدة النحو في مضمون عودة الضمير إلى المتحدث عنه ، وقد أشار النحاة القدامى إلى هذه الظاهرة وفضلوها على عودة الضمير إلى الأقرب [١].

ومما يحقق وحدة الترابط المنطقي في الصور العقلية عند المتنبي ؛ قدرته على تكريس قوة الضمائر والحضور والغياب للمساهمة في تكوين علائق متماسكة وتراتب للمعنى المراد ، ويساهم أيضاً الوجود الفعلي لتمكن النحو في صناعة المعنى ، ويتضح استخدام الشرط الذي لا يأتي بجوابه لدلالة ما سبق عليه من مثل؛(وإنْ كَثرَ التَّجمُّلُ و الكلامُ) [٢] ، ويجب حذف الجواب هنا لدلالة ما قبله عليه ولأن فعل الشرط ماض باعتباره مطلقا ولا يتقيد الشط الجزائي بجوابه ؛ فالعلاقة (دلالة تلازمية) ؛ لا يرتبط فيها جواب الشرط سبباً بفعل الشرط ، ليس من الضروري أن تصاحب نفسك فقط عندما يكثر التجمل والكلام الزائف ، مما سمح لجواب الشرط المقدر أن يأتي زمانياً قبل فعل الشرط ؛ ومن الأمثلة القرآنية في العلاقة التلازمية نجد قوله تعالى: " فمثلهُ كَمَثلِ الكلبِ إنْ تحملْ عليهِ يلهثْ أو تتركْهُ يلهثْ) [٣]، نجد أن اللهث غير مرتبط سبباً باللهث ؛ الدلالة تلازمية؛ لأنه يلهث على كل حال حتى قبل أن تحمل عليه ، ومنطقية العلاقة بين الشرط وجوابه تعتمد على قيمة المعنى الذي يتلاعب بين السببية وبين الوجوب في بنائها ، ومنه أدوات الشرط غير الجازمة التي جاءت مع تركيب لاحق للبيت

---

[١] انظر (قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب) – مرجع سابق ، ص٧٠-٧١

(٢) المرجع نفسه ، ص٧٢.

[٣] سورة الأعراف –١٧٦

السابق لتنضم لهذه العلاقة في شكل جديد (ولو حيزَ الْحِفاظُ بغَيْرِ عقلٍ) ، حرف امتناع لامتناع؛ مما يساعد في فهم العلاقة التداولية للشرط ، والعلاقة الوظيفية، فالشرط الأول مع الحرف (إنْ) كان جوابه محذوفاً لدلالة ما قبله عليه ، وهنا يمتنع الجواب مع (لو) لامتناع الشرط ، وهنا تكون النتيجة واحدة بين العلاقتين، وتتسابق العلاقة التدوالية التي تعطي النتائج نفسها مع العلاقة الوظيفية التي تقسِّم الوظيفة بين شرط جازم وشرط غير جازم؛ ولكننا في النهاية حصلنا على نتيجة واحدة من الشرط بموجب العلاقة التداولية التي تلزم النحو و اللغة أن يخضع للمعنى القصدي فقط ، بعيداً عن الوظيفية أو تحولاتها، وقوة التمكن النحوي تتضح في المعنى القصدي الذي يسمح النحو له في الظهور مستخدما قوة منطق النحو التأويلي، وقدرته على ضبط الأنساق التأويلية بما يناسب القصدية.

إن عبقرية المتنبي اللغوية ساهمت في تكوين هذه الوظيفية والتداولية لقوة اللغة بين الإيجاب في ظهورها والغياب عن القسرية العبثية التي تضيع المعنى ، وهو منطق متطور سبق عصره ولغتها .

يأتي الفعل (حيزَ) في صيغة البناء للمجهول لخلق ظاهرة التبئير (focalisation) ؛ " ويفيد من الناحية الاصطلاحية في علم اللسان انحصار الكلام في معنى معين بإلقاء الأضواء على العنصر الأساسي فيه باعتباره مدار الكلام في الجملة فهو يمثل المعلومة الجديدة فيها . ولهذا اعتبره "هليداي" (Haliday) مرادفا للمنطوق مقابل المقتضى "[1]؛ وعملية نقل التبئير للفعل بدلا من الشرط المهمل ؛ يجعل الجملة في حالة من

---

(١) الحِجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صولة – مرجع سابق ، ص٣٩٠-٣٩١

الاستدلال على المعنى الجديد للدال (الحفاظ) بما يحمل من معنى الحفاظ على الحقوق ورعي الذمام ، ويتبادل طرفا التمكن النحوي (المستوى الأفقي والمستوى العمودي) الأدوار للبحث عن المعنى القصدي المطلوب ، وغياب الفاعل في المجهول جعل تحقق شرط الحفاظ مستحيلا في كامل البيت مع تحقق شرط غياب العقل ؛ وتتالى العلاقات السببية بين المستويين ؛ ساعد الشاعر على القصدية التي أرادها ، ويكون المقتضى هنا مشتركا بين المتلقي والمرسل (غياب الحفاظ عند من لا عقل له)، ويكون التبئير[1] نقطة التحول التي ساعدت على خلق الاشتراك في الدلالة بين المرسل والمتلقي وهو هنا مركز التبئير الفعل المبني للمجهول (حيزَ) .

(١) التبئير: مصطلح حديث يساعد على إيجاد الاشتراك في الدلالة

الفصل الثاني :
العالم العجائبي في الصور العقلية عند المتنبي

المبحث الأول : دلالة العجائبية الشعرية

المبحث الثاني : العوالم المرمزة في شعر المتنبي

المبحث الثالث : صناعة التوافقات المبرْهنة في الدلالة الشعرية

المبحث الرابع : الدَّمج الوظيفي في بنية العالم العجائبي .

المبحث الأول : دلالة العجائبية في مفهوم الادب

الأدب العجائبي يحمل سماتِ اللغة التي صيغ منها ، ويتطور مع تطور آلياتها التي تصنع قوالب مترابطة في كل مرة لتصف رؤى مجنحة قادرة على حمل الفكر و المنطق ، وفي هذا الفصل سنناقش منظور العجائبي في الصور العقلية عند المتنبي مع ما تحمله من منطق لغوي ووظائف متباينة أو متفقة مع اللغة التي صيغت منها ، وسنحاول أن نعرف بعض بنى هذه الصور التي سندرسها لتلمس رؤيا مبدعة .

العجيب كما ورد في قاموس (لاروس الصغير) عند الغرب ؛ هو الذي يبعد عن ساحة المألوف والعادي للأشياء، أو الذي يظهر فوق الطبيعي [١] ، وهنا تبدأ فكرة العجيب الذي يتجاوز المألوف والسائد.

أما في النقد العربي القديم فقد استحوذت الفكرة عند بعض النقاد والأدباء؛ ولكن دون تحديد رؤيا متفقة مع الشكل الجمعي للأدب أو مع تعميمها، ومنهم (ابن سينا) الذي يرى أن التخييل يميز الشعر عن النثر، ولا يصبحُ الشعر تخيلياً إلا إذا ارتبط بأثر نفسي عند المتلقي يميزه عن غيره من فنون الأدب؛ " هو انفعال من تعجب أو تعظيم أو تهوين أو تصغير أو نشاط ، من غير أن يكون الغرض بالقول إيقاع اعتقاده البته" [٢] ، ونراه هنا يبتعد بالعجيب عن غرض فرض الاعتقاد على المتلقي، ولكننا نراه

---

[١] Le petit Larousse ٢٠١٠, en couleur, librairie Larousse, ٢٠٠٩, Paris, édition anniversaire de la semeuse, p :٦٣٩.

[٢] المجموع أو الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر ؛ ابن سينا ، تحقيق محمد سليم سالم ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص١٦

في جوهره نوعا من التأثير الذي سيفرض الرؤيا عاجلا أم آجلا على المتلقي ؛ لأنه سيخضع المنطق والحس عند المتلقي لذلك التأثير النفسي الذي يتمكن من استمالة الحس قبل الفكر ، ويختلف هذا عن فكرة الغرب كما عرفه (معجم لاروس) في اعتباره يخرج عن المألوف في تناول القضايا ، ولكننا سنتوجه في تحليل المصطلح إلى(عبد القاهر الجرجاني) الذي يرى التخييلي على أنه يأتي " طبقات، ويأتي على درجات، فمنه من يجيء مصنوعاً قد تُلطِفَ فيه، واستعين عليه بالرفق والحذق، حتى أُعطي شبهاً من الحق ، وغشي رونقاً من الصدق، باحتجاجٍ تُمحِّل ، تُصُنِّع فيه وتُعُمِّل" [1]، وتتضح الصناعة هنا في توصيف الجرجاني على وجوده في طبقات مصنوعة، والاستعانة عليه قبل الاستعانة به، مما يعطينا قدرة على ابتكار الحذق الذي رآه الجرجاني، ومن باب الحذق كونه حسياً وعقلياً يستطيع تبني الواقع ليشابه الحق (الواقع)، ونعود مع تعريف الجرجاني لفكرة الاحتجاج العقلي التي نريدها ، وفكرة الاحتجاج مع ما تتبناه من منطق صوري ولغوي قادر على الابتكار والـتأثير .

ومن النقاد العرب كلؤي خليل في العصر الحديث من يرى الأدب العجائبي تكوينا يحاول أن يصنع الحدث الفوق طبيعي مستخدماً قوانين طبيعية، لأن اللغة في قوانينها العامة طبيعية ومنطقية ولكنها قادرة على صناعة ما فوق الطبيعي الذي هو عجائبي في تكوينه ومفهومه وأثره [2]؛ وهذا ما يحيلنا على نفس الفكرة عند

---

[1] أسرار البلاغة ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، علق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ودار المدني ، القاهرة، جدة ، ص٢٦٣

[2] عجائبية النثر الحكائي (أدب المعراج والمناقب)، لؤي علي خليل ، التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، ٢٠٠٧م، ص٩

(تودوروف) الذي يتحدث عن القوانين الجديدة غير المألوفة التي تفسر الظواهر الطبيعية ويتداخل هنا الواقع والخيال؛ ليتجاوز السببية المنطقية ويوظف (الامتساخ) والتشويه بين لعبة المرئي و اللامرئي ؛ ويكون المتلقي بين عالمين متناقضين ومختلفين، الأول العالم الحسي والثاني عالم التصور والوهم ، وهنا يخضع المتلقي لحالة التوقع المنطقي مع الاستغراب أمام حدث لا يخضع للعقل والطبيعة والمنطق المتعارف[١]، ويتضح التمييز بين الغريب والعجيب في المصطلح بعد أن يتحدد بزمن القراءة أو الامتثال للنص؛ عندما تظل قوانين الطبيعة والمنطق غير مستباحة بما يسمح بتفسير الظواهر التي تحدث في النص وهنا سنصبح أمام مصطلح الغريب ، وعندما يقبل المتلقي قبول القوانين الجديدة التي تعاكس المنطق وتفسر النص على أساس معاكستها؛ فإننا هنا نكون أمام العجيب [٢].

وقد حدد " تودوروف" بعض الخطوات التي جعلت من العجائبي نوعا خاصاً قائماً بذاته، يرتكز على التخييل والتحرر من الارتباطات التي تقيد النص وتجعله تكرارا ما لم لما سبق ؛ وجعل للعجائبي تمظهرات خاصة ترتبط ب(أنا) و (أنت) تتنوع بين الزمن والموضوع والفضاء اللغوي التي تساعد الذات على وعي ذاتها وتلمس رغباتها الداخلية بما يطورها ويخلصها من قيودها [٣]؛ وهنا يتواجه المتلقي مع القوانين غير الطبيعية التي تخرج عن صيرورة المنطق مما يسبب التردد والحيرة الفاعلة عنده،

---

[١] انظر (مدخل إلى الأدب العجائبي) ، تزفتان تودوروف ، ترجمة : الصديق بوعلام ، دار الكلام ، الرباط ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص ١٨

[٢] انظر(مخل إلى الأدب العجائبي) – مرجع سابق ، ص٦٥

[٣] انظر (مدخل إلى الأدب العجائبي) – مرجع سابق ، ص١٣٥– ١٨٥

ويكون للعجيب قوانينه الخاصة التي يصعب تفسيرها بعكس الغريب الذي يجد تفسيراً منطقياً لقضايا غير منطقية ، يتضح من هذه المقارنة الأمور الآتية التي تفسرها العلاقات :

الغريب ⟵ (يتكون من عالم واحد) هو الواقع؛ مألوف

العجيب ⟵ (يتكون من عالم واحد فقط)؛ هو المستحيل اللاواقعي غير مألوف.

العجائبي ⟵ (يتكون من عالمين اثنين)؛ عالم الواقع و اللاواقعي ؛ مستحيل التحقق.

يستطيع هذا الأدب أن يتقبل كل الأنواع الأخرى ضمنه، مما يساهم في شموليته ليضم أنواعاً كثيرة، ويقدم رؤى مخالفة تستتبع أحداثاً خارقة للعادة، ويزدحم النص بمرجعيات تفسيرية وصور مركبة في تعقيد تخييلي ؛ وقد ازدهرت هذه المركبات المتكاملة بكل مدهش ، ويتمحور العالمان داخل العجائبي (Fantastique) ليربطا المعقول باللامعقول، ويربطان العالم الواقعي الزائف بعالم آخر يطلق عليه اللاوعي .

ويبقى المكان في العجائبية يتحين فرص الظهور العقلي والحسي عند المتلقي على حد اعتباره توافقيا بين نفسه وعقله أكثر من كونه مفروضا بقوة الخارج، وعند هذا التحيين المتوقع على نفس المتلقي وعقله فإنه يصطنع ما يمكن من أبينة عقلية ونفسية تبقيه ضمن أطر المكان المراد جعله منسجما مع البنية العجائبية الجديدة ؛ ولا نكون بعيدين عن الواقع في قولنا إن المكان في البنية العجائبية قد صنعه المتلقي أكثر من صنع المؤلف لحدود هذا المكان ؛ لأنه قد استمد مفرداته من ذاكرته العميقة ومن تجاربه رغم عدم إهمال دور المؤلف في محاولة رسم الحدود بالكلمات وبعض

التلميحات التي يحاول فيها اصطناع صور ممكنة للمكان العجائبي المراد مسايرته للحدث، وتلعب الحالة النفسية للمتلقي الدور الأبرز في هذا التعالق بين الحدث والمكان، ولعل غاستون باشلار تحدث عن المكان عندما وصفه بأكثر من صور مرسومة بالكلمات ؛ " إن المكان لا يمثل صوراً مرسومة كالكلمات ، بل إن المكان ما كان مؤثرا في مخيلتنا وأحاسيسنا " [١].

وفي ذلك يقول المتبني[٢]:

ولو حيز الحفاظ بغير عقل وان كثر التجهل والكلام

ويقوم المكان الجديد بحد مجتزأ من الواقع أو من الخيال بين المتلقي والمؤلف ؛ وهذا ما يجعل الأمكنة فريدة من نوعها وساحرة وغامضة تنبض بكل مثير ، بل لا يعتمد البعد المكاني الجديد على صفة جغرافية معينة بل الاعتماد على تحريك الحدود المصطنعة بما يلائم الخيال المتوقع في الأحداث وقدرة المكان على استيعاب هذه الأحداث العجائبية .

تتمتع الشخصيات في البناء العجائبي بإمكانية التجلي المضمر أو الظاهر بين أحداث النص العجائبي فتتنوع هذه السمات الجسدية والنفسية بما يتماهى مع الحدث الخاص الذي يتطلب ذلك ، وتتمحور كل شخصية بقدرات جديدة قد تميزها عن البقية بهدف إغناء الحدث والعنصر الوصفي لكل حالة من الحالات المختلفة، ويقابل الشخصية العجائبية بعض الشخصيات من عالم الواقع مما يخلق تعارضاً

---

(١) جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ترجمة : غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان، ط٢ ، ١٩٨٤م ، ص ١٨٩

(٢) شرح ديوان المتبني ، ج١،ص١.

ممزوجاً بالتقابل الحسي والفكري، ويساهم في توضح الآخر من خلال الضد الافتراضي أو المقابل الموضوعي ،وهذا " تعارض جدلي يتجلى في كون المؤلف يخلق في مقابل شخوصه العجائبية شخوصا عادية – طبيعية - تمثل المرآة التي تُبرز وجوه المفارقة ، مما يجعل أنواعها قائمة على مبدأ التعارض الذي يجسد الفوق طبيعي ، ويجعل الشخصية الفانتاستيكية في تنوعها، مكوناً من مكونات التعجب ." [1] ، وتتماسك البنية النصية للشخصيات العجائبية بكل مراحل نموها حتى تصل الأحداث ببعضها بعضاً، وتنمو بعض الصفات الجديدة بما يناسب سرعة الحدث، وتغير المكان المراد بثه في المتلقي حتى يستطيع العجائبي أن يخلق المفاجأة والغرابة التي تتطلب تماسكاً نصياً في كل الحوار والأحداث ، حتى وإن غاب المنطق الافتراضي أحياناً أو أضمرت بعض الشخصيات على حساب ظهور شخصيات أخرى، مخالفة للنسق أو طارئة عليه، ونحن نعلم مقدار كمية الظهور والغياب التي تتطلب من البنية النصية للعجائبي أن تفاجئ به المتلقي في كثير من الأحيان .

وتقبع بعض الشخصيات العجائبية ضمن بعض النصوص المغلقة التي تطورها وفق أحداث النص فنراها متغيرة ومجابهة للشخصيات الاعتيادية، لتكسر نمط المألوف السائد ؛ وأحيانا يجتمع فيها الواقع واللاواقع معاً في جدلية غريبة تساهم في كسر توقع المتلقي دائماً مهماً غاب عنه الحدس أو حضر، ويعمل العجائبي على فكرة هدم شبه كلي للمرجعيات الفكرية للشخصية، ثم إعادة صياغتها بما يلائم الحدث المتقدم

---

[1] الشخصية الأنثربولوجية العجائبية في رواية (مائة عام من العزلة لـــ: غابرييل غارسيا ماركيز) ؛ أنماطها، مواصفاتها ، أبعادها ، تأليف : باية غيبوب ، دار الأمل للنشر والطباعة والتوزيع ، الجزائر،٢٠١٢م، ص٧٦

من النص، ويتم هنا " وصف مخلوقات غير مرئية، أو تحويل الشخصيات المرئية إلى شخصيات غير مرئية، وتعمل هذه المخلوقات على خرق العرف الطبيعي، وخلق قوانين جديدة، وتنحو بعض الروايات العجائبية إلى إحياء الكائنات غير الحية لخلق مشهد عجائبي يُثير الدهشة، ويسري الوصف فيها على الإنسان والحيوان والنبات " [1] وعليه؛ فإن هذه الخروقات التي تجري في عالم العجائبية تزداد مع تزايد قدرة الحدث على الاستمرار في خلق الحاجة لوجودها ولخصائصها النوعية والجسدية التي تجعلها تؤدي الدور الصحيح ، وتلعب اللغة التي تتحاور بها الشخصيات أو الإيماءات التي تبديها دوراص في توضيح التناقض أو رسم الحدث بشكل عجائبي ؛ عندما تتحدث الحيوانات في لغات بشرية أو عندما تصدر الشخصيات أفكاراً غير مألوفة عند مثيلاتها أو تناقض طبيعتها الجسدية أو النفسية ، وكل هذا يسهم في صنع العجائبي الذي يحول النص والحدث إلى ما يتمناه المؤلف بشكل جزئي أو كليٍّ ، ويزداد الحوار بين بعض الشخصيات التي تتمثل في عناصر طبيعية أو جماد ينطق بلسان الحال عند كل حدث داخل المنظومة العجائبية التي يسعى لبنائها المؤلف .

وقد تتعمق العجائبية إلى عالم الأرواح المجردة لتتدخل في قضايا مخيفة أو مجهولة بغية تقمصها أو تفحصها من الداخل في عملية استقصائية لموجودات هذه الشخصيات العجائبية ، وعلى المؤلف أن يهتم بتتبع الحوار الذي يفتح مغاليق كل شخصية من الشخصيات ويساعدها على بناء المحور الدلالي للحدث، ويتعرف على أفكارها قبل القارئ ؛ لأنها تركيز وتفصيل للأفكار والأحداث معا، مما يزيد التركيز على

---

[1] العجائبية في الرواية العربية (من عام ١٩٧٠ إلى نهاية عام ٢٠٠٠)، فاطمة بدر حسين ، أطروحة دكتوراه جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ٢٠٠٣م، ص:١٣

قيمة الأحداث الحقيقة داخل النص العجائبي [1]، لأن الحوار يعمل مثل فعل الكلام الذي يستطيع سحب تتبع الاحداث في كل مرة تتخلق شخصية جديدة أو تبوح بمكنوناتها النفسية والفكرية ، وهو بهذا يبقى طاقة متجددة تقوي العمل الأدبي وتزيد طاقته الدلالية والتكوينية للعالم المراد صنعه .

وفي ذلك يقول الشاعر[2] :

كأنها والرياح تضربها جيش وغى هازم ومنهزم

كما يقول[3]:

كأنها في نهارها قمر حن به من جناتها ظلم

المبحث الثاني : العوالم المرمزة في صور المتنبي :

تختصر الأقوال والأفعال داخل العالم العجائبي في شكل صور قد تبدو مبعثرة ولكنها مترابطة في شكل زمني أو إحالات ترجئها في الدلالة وتستعين عليها باللغة الواعية القادرة على الخلق المبدع ، وتبدأ العلاقات "المأزقية" التي تتشاكل داخل اللغة مستعينة بقدرتها على التصوير ، وتبتدع هذه اللغة العجائبية نوعا من الاختصارات اللغوية التي تعطيها إمكانية السرعة في التحول نحو العوالم الداخلية ، وهذا لا يلغي ولا يحذف الأحداث من الأدب أو النص ، فإن الاختصار يخلق حالا من الانغلاق على النص العجائبي الذي منح الخيال انغلاقا على أحداثه، والمضي في اللغة دون التفصيل

---

[1] انظر (مستويات دراسة النص الروائي " مقاربة نظرية) ، عبد العالي بو طيب ، مطبعة الأمنية ، سوريا، المغرب ، ١٩٩٩م، ص١٦٨

(٢) شرح ديوان المتبني ، ج٤،ص٦٤.

(٣) شرح ديوان المتبني،ج٤،ص٦٧.

في الزمن المحدد، وهذا العالم الدّال على التخييل يمتزج مع الانغلاق على اختصار النص ، فكشفت الصراعات الكبيرة داخل النص ذاته، بين اختصار التفاصيل المنحسرة على أحداث اختصرت تفاصيلها وبين عالم العجائبي الذي لا يخضع للعقل والمنطق ، هذه العوالم المتوازية والمرمزة التي لا تعتمد الترتيب وتنحو بالدهشة والحيرة المترددة .

وتجدر الإشارة هنا إلى ترتيب تلك المرمزات داخل التركيب العجائبي في شكل تفاعل جزئي بين المكونات ، وتتبع الوظائف الآلية السابقة نفسها ؛ الدلالية والتركيبية والتداولية ، وبالنسبة إلى المركبات التي لا وظيفية تركيبية لها مثل الزمان والمكان والحال وصاحب الحال ؛ فإنها تترتب في الجملة تبعا لوظيفتها الدلالية ؛ وهنا يأخذ المركب الحامل لوظيفة تركيبية موقعه من الجملة ، وعندما تغيب الوظيفة التركيبية منه، فإن الوظيفة الدلالية تحدد موقعه بما يناسب دلالته، وتغلب الوظيفة التركيبية على الدلالية في هذا التناسق ، فالمركب الحامل للوظيفة التركيبية يحتل موقعا يناسب الوظيفة التركيبية مهما كانت رتبة وظيفته الدلالية[1] .

يمتلئ العالم العجائبي عند المتنبي بالصور المفعمة بالتجديد والترابط العلائقي بين العوالم الداخلية واللاواعية ، وتشهد اللغة عنده ازدحاما في الدلالة والمكونات المشكلة للعوالم ، ويمضي الزمن وحيدا عنده مبتعدا عن الأحداث وتفاصيلها ليشكل الانغلاق على العالم العجائبي ؛ ولينفتح في خيط اتصال مع الواقع بشكل جزئي وتنشأ حالة

---

[1] انظر (اللسانيات الوظيفية ؛ مدخل نظري) ، د. أحمد المتوكل ،دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠١٠م ، ص٧١

التردد بين العالمين دون المساس بتفاصيل الأحداث التي تختصر كل الحدث وتبقي شيئا من خيوطه طلبا للعلائقية والتناسخ بين مكونات النص التركيبية والدلالية ، ومما جاء في رؤيا العجائبي عند المتنبي :[1]

والماءُ بينَ عجاجتين مُخَلِّصٌ تتفـــــرقانِ بهِ وتلتقيـــانِ

ركضَ الأميرُ وكاللجينِ حبابُهُ وثنى الأعنَّـــــةَ وهو كالعقيانِ

فتلَ الحبالَ من الغدائرِ فوقَهُ وبنى السفينَ لهُ من الصُّلبانِ

وحشاهُ عاديةً بغيرِ قـــــــــوائمٍ عُقْمَ البطونِ حوالكَ الألوانِ

تأتي بما سَبتِ الخيولُ كأنَّها تحتَ الحِسانِ مرابِضُ الغزلانِ

تتوزع العوالم العجائبية هنا في صور متلاحقة تحاول بناء صرح الرؤى ، تتجلى الخصوصية في تشابك العلاقة بين هذه اللغة الخاصة وبين انزياحاتها التي تتعمد الابتكار ، ورغم اختلاف العلاقة التي تربط اللغة بالعجائبي إلا أنها لا تحيد عن الإثارة عندما تصنع الانزياح بعد أن سارت في محور أول حقيقي و منطقي ، والتنويع القضوي بين العالمين اللذين يتداخلان في تكوين العجائبي عند المتنبي نستطيع تبني بعض المفاهيم بشكل مبدئي ومدروس ؛ لنصنع منه أنموذجا وظيفيا ومدروسا بعيدا عن السردية المفعمة بالإنشاء فقط، وتأتي الجمل المكونة بين البسيطة والمركبة كجزء من هذا المدروس الذي نحاول تلمسه في أبيات المتنبي ، ونلاحظ سير ذلك النهج العام عند المتنبي في دراسة عالمه العجائبي ، وقد اتسمت اللغات بشكل عام بوجود ترابط بين

---

[1] شرح ديوان المتنبي ، ص٣١١

الوظيفة التركيبية (الفاعل) التي تهتم بمركبات النص ، وبين الوظيفة التداولية التي يطلق عليها المحور؛ حيث إن المكون التركيبي الذي يقوم بحمل هذه الوظيفة داخل النص ؛ ليأخذ الحق في حمل الوظيفة الثانية أي التداولية وله الأولوية قبل أي مركب آخر[١] ؛ فنرى المكون التركيبي يعمل على حمل الوظيفة الخاصة بالمركب التداولي بين العالمين المكونين لتشكيل العالم العجائبي في تقنية أدب متطورة ومفعمة بكل تجديد وقدرة على الاتصال والاختزال ، إنها الحالة التي تتطلب سرعة الحركة بين المحور والوظيفة ، وتبادل الأدوار بين المركبات والوظائف داخل تلك العوالم ، وسنوضح بعض هذه التقنيات في الأبيات السابقة .

إنَّ الوظيفية التركيبية الفاعل قد سيطرت على المحور الذي يمثل الوظيفة التداولية ؛ ويحملها معه وفق ترتيب سُلَّمي ينتهج مبدأً خاصاً ؛ لبداية يأتي الفاعل في الوظيفة التركيبية في البيت :

والماءُ بينَ عجاجتين مُخَلِّصٌ تتفـــــرقانِ بهِ وتلتقيـــــانِ [٢]

(التحليل) : هنا المبتدأ (الماء) الذي أخذ موقع الوظيفة التداولية لأنه بالأصل التركيبي فاعل والتقدير ؛ (يخلصُ ويفرقُ الماءُ بين عجاجتين) ، هذا العالم الأول الذي جعل من الماء بطلاً مساهما في نصر الممدوح ؛(سيف الدولة) ؛ فقد ساهم في صنع الانتصار واشترك مع البطل الحقيقي في هزيمة الأعداء ، وبدأت الجملة البسيطة بالصدق لتشكِّل عالما شبه واقعي يكون الماء عنصره ودالته التي تعطيه بداية الصدقية

---

[١] انظر (اللسانيات الوظيفية ؛ مدخل نظري) – مرجع سابق ، ص٧٥

[٢] شرح ديوان المتنبي – ص٣١١

للانطلاق بعد ذلك بالعجائبي ، وتأتي الوظيفية لتكمل المنطلق الأول من العالم العجائبي ؛ أي عالم الواقع بداية ، وتردد حالة التركيبي الفاعل ثم أخذ عمل المحور واستمر ليؤدي وظيفة تداولية غلبت على وظيفته التركيبية التي صيغت بأصل الجملة قبل أن تُحمَل على المحور وتتحول لشكل الجملة الحالي ، تتوازع بينهما ؛ وهذا الترابط بين الفاعل التداولي والمحور يتم بوساطة اشتراكهما بعدد من الصفات التي توزع بينهما منها؛اعتبار المحور محط الإسناد الحقيقي في الجملة ، واعتبار الفاعل المنطلق(المنظور الأول) الذي يبدأ منه المحور في تحقيق الحدث الذي يدل عليه محمول الجملة ، والاهتمام الآخر هنا يتوضح باعتبار المحور والفاعل التداولي يتميزان ببروز يميزهما عن المكونات الأخرى في الجملة ، وهذا التخويل الذي أعطى الوظيفة التداولية الحق في احتلال الصدارة في الجملة التي تقود الدلالة ؛ فإننا نلاحظ نزوع المكون الفاعل – المحور لاحتلال صدر الجملة وترك موقعه الاصلي خلف الفعل ، فتتحول الجملة إلى بنية رتيبة جديدة (فاعل تداولي – فعل – مفعول) ؛ و وتبين العلاقة بوساطة الرسم الآتي بين مكونات الجملة [1] :

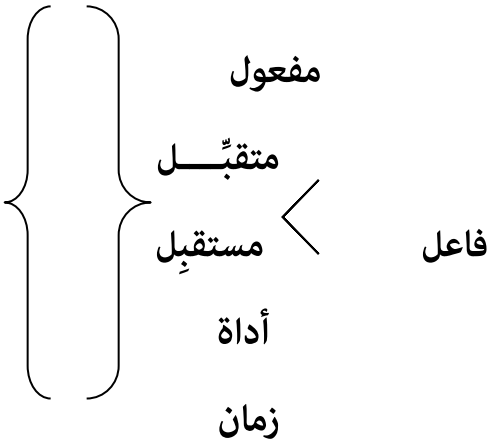

[1] (اللسانيات الوظيفية ؛ مدخل نظري) – مرجع سابق، ص ٧٦

تتضح الصورة الأولى للماء الذي يفرق بين عجاجتين صدرتا عن جحافل الجيشين ؛ هو الحاجز بينهما تارةً يزال من قوة الاصطدام وتارةً يعود بينهما ، في تجلي صورة جديدة للماء تتبين من فعل هذا الماء الذي بدأ به الشاعر ليصبح مكونا دلاليا فاعلا في النص ، ويتقدم المحور الآن في تطوره الدلالي الذي يتدرج في رسم العالم العجائبي ، ويبدأ المحور في ترتيب اتساق عناصره بين الانزياح الدلالي لصورة الماء المتعارف عليه ، وبين الواقعية في العالم الأول من العجائبية ، وهذا التراتب في التصوير بما يشكله من تجانس بين المحور الذي يحمل الوظيفة المشكلة للحدث ؛ ويلعب الزمان دور الاستمرار في تتالي الحدث عند تلك الصورة العجائبية ؛ وصيغة الفعلين (تتفرقان - تلتقيان) في الحاضر ودلالة المستقبل فيهما ، وتأتي الأداة الضمير المتصل في (به) هاء الغائب التي تعطي الإشارة المرجعية في المحور لتعود على (الماء) الذي يحضر في المحور الحامل للحدث ليكون تقدير ذلك الارتباط المفروض على الجملة لضمان انغلاقها واستمرارها افي آنٍ واحد ؛ رغم وجود الفعلين اللازمين دون ضرورة ذلك الوجود للضمير لتقدير (تلتقي العجاجتان ؛ تتفرق العجاجتان) ؛ ولكن الإحالة التداولية على نمط المكون التركيب (الفاعل) جعله المحرك الكامل للمحور في بناء الحدث العجائبي ؛ هو يكون البطل هنا ليقود رسم الصورة في عالم الغريب بداية قبل الانتقال لصور عالم العجيب لتكوين الأدب العجائبي باتفاق كل مجموع تلك الصور المترابطة ؛ ويكتمل المحور هنا ليعود في العالم العجيب الآخر ببداية الفعال الحقيقي ضمن الجملة التي تأتي مع البيت الثاني : [1]

---

[1] شرح ديوان المتنبي ، ص٣١١

ركضَ الأميرُ وكاللجينِ حبابُهُ وثنى الأعنَّـــةَ وهو كالعقيانِ

فتلَ الحبالَ من الغدائرِ فوقَهُ وبنى السفينَ لهُ من الصُّلبانِ

(التحليل) : الكلمة " الفاعل الحقيقي " هنا هو (الأميرُ) الذي يكون البطل في كل المكون والقصيدة يرسم مشهد البطل الخارق الذي تتعاضد معه كل عناصر الطبيعة حوله ؛ فقاعات الماء كالفضة في لمعانها ورونقها ، وقد انكسرت من شدة قوته وبطشه (الأعنةَ) ؛ ما يكون في رأس الفرس من مقدمتها ؛ تأتي الكناية للدلالة على هزيمة الأعداء ؛ انكسرت أعنة خيل أعدائه وسال دمها؛ فتحول الماء اللجين الفضي إلى لون الذهب القاني (كالعقيان) ، تتظافر صورة الفضة في هذا التصوير العجائبي وتتحول إلى الذَّهب (العقيان) ، ونرى هنا هذا التصوير بداية لعالم العجيب الذي انتقل من البيت الأول مع مشهد الماء الغريب لتساند مع الصور القادمة في العالم الثاني العجيب ؛ وتعود اللغة كما قلنا هنا إلى التراتبية الثانية في الشطر الثاني (ثنى الأعنَّةَ) ؛ (فعل – فاعل –مفعول) والجملة هنا تتحول لطبيعتها من قيادة المكون التركيبي (الفاعل) وتعود لترتيب سلَّميتها الاعتيادية ، وتكمل محورها بالفاعل المقدر لرسم العالم العجائبي في قسمه الثاني ؛ (فتلَ الحبالَ) مع ملاحظة الزمن الماضي الذي جاء بعد الحاضر ويبقى في تراتبية الزمن الجديد مع العالم العجائبي ، فحبال السفن هنا هي من جدائل السبايا اللواتي كسبهن من معركته ؛ هذه الغدائر التي جعلها حبالَ سفينته للدلالة على المبالغة في الانتصار الذي أصبح مقدسا هنا ؛ مع سفن قد صنعت من أخشاب صلبان أعدائه الروم ، ويمضي الوصف هنا مع بقائه في جزء من الغريب في رسم السفينة التي حبالها من غدائر الفتيات وهيكلها من صلبان الأعداء ، ويتحول

المحور إلى جمل سابقة ولاحقة ضمن العجائبي والغريب؛ وابتداء العالم العجائبي بالصور المعقولة عن الماء ؛ والصور اللاحقة الآن عن حبال من الغدائر وعن تحرك متسارع لكائن مجهول ضمن المحور الأول (الماء) يعود ثانية للظهور مع تكملة الصور للعالم العجائبي ؛ وتعتمد هذه النظرية الحديثة في الدارسة على منطق اللغة في اللسانيات ؛ فتأخذ بافتراض الشطر الأول من القضية ذات الشطرين ؛ أن يكون صادقاً ؛ مما يعطي إمكانية تقبل الشطر الآخر في صدقه بشكل جزئي ؛ وبذلك تكون فكرة قبول قضية لغوية عند المتلقي ، يشترط وجود بداية قضوية مقبولة الإصدار ، وهنا تظهر بعض منطقية اللغة التي تصوغ الصور بعيدا عن صدقها أو كذبها ، ولكن في بنية صياغتها وبنية تركيبها وترتيبها ، " وربما بدا طبيعياً أن نقول إنَّ الشرط (وهو الجملة المركبة) يصدق حين يصدق السابق واللاحق كلاهما. إلا أنه عادة ما تشترط أشياء أخرى في الجملة التي تبنيها " إذا ..... فإذن" في اللغة العادية. ومن ذلك أن يرتبط اللاحق والسابق معاً من خلال رباط غير صدق_ دالّي مثل السببية أو الجزاء المنطقي "[1] ، ويبدأ هذا الارتباط بين عوالم العجائبي بوساطة القدرة المنطقية للغة حتى يصبح مستساغا عند المتلقي ؛ بعيدا عن حقيقته من حيث الصدق والكذب ؛ وعندما نقول في جملة من مثل :

إذا هطلَ المطرُ غداً ، فإنني أراهنُ أنَّ النزهةَ لن تكون

ستفقد الجملة قوتها ؛ وسيفقد الرهان زخمه عندما يبدو القسم الأول من الجملة كاذبا وليس له مصداقية أو حين لا يتحقق في مطلقه ؛ وهناك ستتوضح الفروقات في

---

[1] المنطق في اللسانيات ، تأليف:(ينس ألوود ،لارس–غونار أندرسون، أوستن دال)،ترجمة : عبد المجيد جحفة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٣م، ص٦٢

هذه القاعدة في جمل يكون قسمها الأول كاذبا مطلقا من مثل :

إذا كانت الكلابُ سمكاً ، فإنها لن تستطيعَ أن تسبح

تبدو الجملة هنا غير مستساغة عند المتلقي قبل البحث في إمكانية الصدق أو الكذب ،لأننا أمام شرطية غير متوازنة في منطق بنائها وارتباطه مع بقية الجملة[١]؛ ومما يتحقق في صدقية هذه الجمل ، فإن العالم العجائبي يحتاج إلى سُلَّمية ترتيبية منطقية تراعي في جوانبها أهمية الانتقال التدريجي لعلاقات الصور التخييلية في رسم العالمين الغريب والعجائبي أو الواقعي والعجائبيه.

كما يقول المتنبي[٢]:

والطير فوق الحباب تحسبها فرسان بلق تخونها اللجم

كأنها والرياح تضربها جيشاً وغى هازم ومنهزم

ناعمة الجسم لا عظام لها لها نبات وحالها رحم

وتتصدر الجمل الأكثر منطقية عادة بداية التلاحق للعالم العجائبي عند المتنبي، مما يساعد في تقبل المتلقي لسرعة هذه الصور المركبة وتفاعله معها، وهذا التواتر السريع والتردد بين العوالم المكوِّنة للعجائبي يبقينا في انسجام وترابط عقلي مع كل صوره ، فنرى العودة مرة ثانية للمكون الفاعل (الماء) في البيتين التاليين؛ يتردد محوران (الأمير) (الماء) للدلالة على العالم العجائبي في تطوره؛ حدثين مترابطين يحمل كل منها الآخر في تطوره : [٣]

---

[١] انظر المرجع نفسه ، ص ٦٢-٦٣

[٢]

[٣] شرح ديوان المتنبي ، ص٣١١

وحشاهُ عاديةً بغيرِ قـــــــــوائمٍ عُقْمَ البطونِ حوالكَ الألوانِ

تأتي بما سَبتِ الخيولُ كأنَّها تحتَ الحِسانِ مرابِضُ الغزلانِ

التحليل :الفعل (حشا) ارتبط بالضمير المتصل هاء الغائب العائد على المحور (الماء)؛ من باب التنزيه للماء أن تسبح به هذه السفن التي تعدو بلا قوائم للدلالة على ضعفها وانكسارها ؛ تشبيه السفن بالخيول العاجزة المكسورة القوائم ؛ وعقيمة القدرة على التناسل في لونٍ قاتم من كثرة القار الذي طليت به ؛ ترميز الكلمات في دلالة المذلة والمهانة في وجود الخصم ، وترميز كل ما يساعد على رسم صور العجائبي من خيول دون قوائم ؛ أو عليها حسان من الفتيات السبايا يقمن فوقها لتبدو مسكن الغزلان (مرابض) ، وتأخذ السفن المكللة بالعار صفة عجائبية أخرى لتشكل مسكنا للغزلان الجميلة يعدو فوق الماء حاملا كل من فيها من غزلان فاتنة .

صور متلاحقة من العوالم العجيبة التي لا تتكلم إلا من خلال رمزيتها واستخدام الأدوات والإشارات في تقدمها مع المحورين (الماء - الامير) وتبادل الأدوار ، ورسم العوالم الغائبة في داخل اللغة التي انسجمت مع وظيفتها ، ولكنها ابتدأت متدفقة بالمنطق اللغوي لوجود الماء لتنتقل بعدها لمنطق البطل الأمير مع عالمه الذي يخضع لقوته وانتصاره .

المبحث الثالث: صناعة التوافقات المبرهنة في الدلالة الشعرية

إن التوافق الذي يحصل بين المرسل والمتلقي يقوم على منهج من المبادئ المشتركة التي تبقيهم في حالة من الاتصال العقلي والحسي فيما بينهم ؛ وترتكز على صيغ الفكر المتنوعة بين الاستقراء والاستبعاد والإسقاط الدلالي لكل دال أو تركيب؛ وهناك البرهنة التي تتوجه إلى المشاعر، ويعدي اختيار الصور بعضا من هذه القدرة على صناعة التوافق بين المكونات، ومن هذه الادوات نذكر؛ بعض صور البلاغة في المجاز المرسل أو الكناية، والتكرار ، وشبه الخطاب المباشر، وصور الاتحاد التي تعتمد الإحالات على المشترك في الثقافة أو التقاليد أو الإرث الماضي ؛ مثل التلميح أو الالتفات [1].

ما يهمنا هنا تقنية صناعة التوافقات التي يجب دراستها مع نظرية العجائبي لتوضيح قدرة هذه التوافقات التي جاءت مع العجائبية بصورة فطرية ؛ لأن العجائبية تسخِّر كل طاقات الأدب واللغة لخلق عوالمها الجميلة والممتلئة بالخيال واللغة الساحرة التي تصف كل دقائق المكان والأحداث .

بالعودة إلى صناعة هذه التوافقات فإننا نكون أمام ثلاثة أجزاء ؛ يبدأ قسمها الأول بالصورة التي تصنع التوافق ؛ وينتقل قسمها الثاني إلى موضوع التوافق نفسه كيف يصاغ في وحدته الكلية ، أما الجزء الثالث فيختص التوافقات الناتجة عن البرهنة السليمة للمنطق اللغوي الذي صاغ الجمل أو العالم العجائبي، ولا بد من تفصيل صغير

---

[1] انظر (السيميائيات أو نظرية العلامات) ، جيرار دولودال ، ترجمة: عبد الرحمن بو علي ، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا ، اللاذقية ، ط٢، ٢٠١١م، ص١٩٨-١٩٩

لهذه الآلية قبل البدء في دراسة النص الخاص بالتوافقات عند المتنبي ، فنجد الجزء الخاص بالصور ينقسم إلى : (كناية - مجاز مرسل -حضور الكلمة - حضور الصوت - التكرار - الاتحاد - التلميح - الاستشهاد)

ويأتي الجزء الخاص بالموضوعات على أقسام منها ؛ (البرهنة الموجهة إلى الشاعر - توافقات خاصة بالجمهور - القيم - التراتبيات -الأمكنة)، ويتضح الجزء الثالث في التوافقات الناتجة عن البرهنة لتكون في أقسام ؛(الحدس -الحدث -الحقيقة).[1]

هذه الصناعة المتعددة الأقطاب التي تتماهى في دراسة العالم العجائبي ستكون في طاقة شعرية كبيرة تتجاوز المألوف وتصنع القدرة على التفسير والوصف والاستدلال ، ومن الامثلة على ذلك قول المتبني :[2]

- والْموجُ مِثْلُ الفحـــــولِ مُزْبدَةً تهْدرُ فيها وما بِها قَطَمُ
- والطَّيرُ فوقَ الحَبابِ تحْسبُها فُرسانَ بُلْقٍ تخونُها اللُّجمُ
- كأنَّها والرِّيـــاحُ تضربُها جيشاً وغى هازِمٌ ومنهزِمُ
- كأنَّها فـــي نهـــارِها قَمَـــرٌ حفَّ بهِ من جنانِها ظُلَمُ
- ناعمَةُ الجِّسمِ لا عِظامَ لها لَها بناتٌ وَ مالها رَحِـــمَ

التحليل :عالمٌ من الخيال العجائبي يبتكر تلك الصور في طبقات وجودها التي تتكاثر في الأبيات، وتبدأ بصنع التوافقات المبرهنة مع بعضها بعضا ؛ فالأسباب وعلائقها تتوحد لتبرر الرؤيا والدمج المصطنع للصور مع المواضيع، ثم تتفرد البرهنة في الجزء

---

[1] انظر (السيميائيات أو نظرية العلامات) - مرجع سابق - ص٢٠٠

[2] شرح ديوان المتنبي ، جزء ٤ ، ص٦٦-٦٧

الأخير، لتبرر منطق اللغة التي اصطنعت العوالم السحرية، ومن البدء في وسم الصفات بحال التشبيه قبل أن تكون في الكناية أو المجاز المرسل ، صورة الموج الذي يهدر مثل الفحول في هيجانه وجماح رغبته ، مما خرج عن مألوف وصف موج البحر ؛ لعوالم خلاقة ارتأت توجيه الصور في توافقات جديدة يبرهن على رؤيته للمتلقي ليضعه في عنصر السياق الوظيفي للوصف العجائبي ، بداية بالبلاغة في خلق صورة جديدة للموج ؛ ولكن الموضوع المطروق كان أكبر من قدرة الصورة على الاستكمال في بناء التوافق مع المتلقي؛ فانتقل لتقنية الموضوع (البرهنة الموجهة إلى المشاعر) عدم ايقاء التشبيه بالغريب المرجو، باستثناء الثنائية (المـــوج = الفحول)؛ وهنا يقوم الموضوع الذي يمثل الجزء الثاني من التوافقات ؛ بنقل برهنة هذا العالم الموجود في الخيال ؛ يستخدم دال (شهوة الضراب وهياج الفحل ؛ قطم) في سبيل البحث عن برهنة تشبيه قد ساقه مسبقا في بداية البيت ، لنكون أمام الوصف المؤثر لنصنع الحدث : (صورة _____ برهنة موجهة _____ حدث)

هذا الانتقال من صورة التشبيه لصنع آلية البرهان انتقالا لإثبات الحدث ؛ رغم عجائبيته لكنه قد ابتدع حدثا أشعر المتلقي بوجود الحدث في الواقع وتوحيد الرؤيا لهذا الموج عند المجتمع اللغوي الذي كان يعاصره ، ومما ساعد الحدث على الثبات رغم وجود فعل واحد فقط في البيت (تهدرُ) ؛ هو تكرار المعنى القاري للدال فنرى : (مزبدة – تهدر – قطم) ؛ لأننا مازلنا هنا بين فائدة التكرار الدلالي لدوال مختلفة في قيمة الحضور الذي تندمج تحت مسماه ولم ننتقل بعد لأجزاء أخرى أو لحالات صناعة جديدة للتوافقات ، والأمكنة هنا أمكنة نوعية وليست أمكنة الكمية ؛ لأن المكان هنا

بحيرة ورمز الموج الهائج مع حالة الحرب بين جيشين ؛ والسعي لتجييش المكان أخذ منه رمزا نوعيا وليس رمزا للكمية الكبيرة للمياه أو الأمواج؛ وقيمة اللغة الشعرية تتجلى في التعويض بين النوعية والكمية؛ فتحسب الإفراد بها جمعا كأن الناس كلهم مكان ، وعليه تبدأ بخلق الرمز لكل عنصر من عناصر التوافقات حسب التصنيف الذي يفرز متغيرات جديدة في النص؛ والعالم العجائبي المنصوص في البيت الأول لا يغادر ذلك التشبيه المتمثل في مقارنة بين موجٍ وفحولةٍ مزعومة ، وهي برهنة موجهة إلى المشاعر قبل أن تهدف لصناعة الصورة ، ومن بعض التسميات هنا يبرز هذا المصطلح(ميتاليبس) metaleps [1] ؛ وهو للدلالة على صورة تختص بنقل القيم للجميل وإغنائه بالقيم المتعارفة أو المتفق عليها بين الجماعة اللغوية الواحدة ذات الإرث المشترك في قيم جمالها وحضورها ، وتحذو الصور حذو اللغة التي تتكون بها فتسعى لبناء توافق الجمال مع القيم التي يفهمها المتلقي ذاته، وعليه فإن تذخير الصورة التي أتت بالتشبيه مع ما تحمله من قيم للفحولة السائدة في عصر الادعاء الرجولي ؛ مما مكن التركيب من الاستمرار في بنية العجائبي الممتع ؛ ويأتي الفعل اللازم (تهدرُ) في صدر جملة الشطر الثاني دون أن يحمل صيغة تعدية لمفعول واحد ، واكتفى بالدلالة المعنوية التي أفادت ترسيخ الدال الأول (مزبدة) متخليا عن الوظيفة النحوية ومكتفيا بالدلالة التي أوجدت توافقا مؤثرا لصناعة الحدث بعاملين (الوصف المؤثر – الكلمة) .

---

[1] السيميائيات أو نظرية العلامات – مرجع سابق ، ص ١٩٩

يأتي الفعل اللازم هنا ليعمل بمهمة (واظفة) functor ؛ وهو دور منوط به عند التلفظ باسم معين ثم نأتي بجملة لتقول شيئا بصدده ؛ ونكون قد استعملنا الاسم باعتباره موضوعا لدالة جديدة تنتج الجملة مع قيمتها ؛ وبمكن القول أن هذه التسلسل (concatenation) في إضافة العلامات في ترتيب خطي يعتبر الأفعال اللازمة (= ف ل) واظفات (functor) لهذه الدوال (الأسماء) التي تكون في ثنائية (اسم – جملة) فتتحول الأسماء إلى جمل تساهم في مقولة أو معنى جديد ، " تسمى هذه المقولة ج/س (تلك المقولة التي تنتج جملا انطلاقا من الأسماء) وتُوافق تقريبا مقولةَ الفعل اللازم القديمة. غير أنه من الهام أن نتذكر أنه إذا كانت ج/ س وف/ ل مقولات عبارات لغوية ، فإن ج/س مقولة دوال. إن العبارات في ف ل عبارة عن علامات أو واظفات بالنسبة للدوال في ج/س .إنها المادة المعجمية التي تعمل عليها الدوال ." [1]

تحليل : ما يهمنا هنا هو تأسيس الوظيفة المعجمية بناء على ترسيخ ممنوح من الوظيفية النحوية التي أفردت الطريق للدلالة المعجمية أن تنوب عنها في رسم ملامح الدلالة الجديدة في ظاهرة تؤكد ما ذهبنا إليه سابقا عن الجزء المتعلق عن صور توافق مبرهنة ؛ تتوافق مع تكريس لوصف مؤثر ، والكلمة في تكرار المعنى المعجمي وإغفال النحو التركيبي أو المقولاتي مؤقتا للسماح للدلالة المعجمية في بناء الحدث الجديد بصفاته القادمة مع كل مفردة معجمية من مثل (قطم – مزبدة – تهدر) ؛ ونحن نرى الإصرار على هذا النهج مستمرا في رسم العالم العجائبي في الوصف الشعري عن المتنبي ؛ مما سمح للاستمرار في القدرة على إنتاج الدلالة بهذا النهج ؛ هو مصطلح

---

[1] المنطق في اللسانيات – مرجع سابق ، ص ١٨٠

حديث فسر لنا بعض هذه التقنيات الأدبية المذهلة التي ألأخذ بأسباب المعنى والدلالة المتبعة في الإرث العربي الشعري أو اللغوي ، و عندما بدأ البيت التالي بالاسم (الطيرُ) مستمرا بمبدأ ج/س مرة أخرى (اسم - جملة " فعل") ، لكن هنا سيعود النحو للتدخل في رسم عالمه العجائبي من جديد وقد أتى فعل متعدٍ لمفعولين مخالفا فكرة ج/س من حيث ظهور الفعل المتعدي بدلا من اللازم وكسر قاعدة (ف ل) مع النحو المقولاتي؛ وهذا المصطلح الجديد الذي قبلناه سابقا بما سمح لاستمرار المعنى والتعالق الدلالي مع ما سبق من أبيات شعرية ؛ يسمى مصطلح العامل (operator)؛ وعلى ضوء فكرة هذه النظرية عند الدكتورة (سمية المكي)[1]؛ فإنه يقوم بالمبدأ على تكريس الاسم ليكون موضوعا متصدرا للجملة (topic)، وترتبط الجملة الفعلية (هنا الفعل متعدي) بالاسم المتصدر بعلاقة العامل (operator)؛ ويساعد هذا في التعبير عن القوة الإنجازية للجملة والقوة التداولية لها ، مثل وظائف البؤرة (focus) والدليل والمنادى وغيرها من هذه القوى الوظيفية التي بررت وجودها المدرسة الوظيفية ، وأسندت الوظيفية الإنجازية للاسم المتصدر في الجملة ليكون محور الحديث والعملية التخاطبية ، ويرتبط الاسم المتصدر بالمركب الفعلي الذي يتلوه عن طريق العامل الذي اصطلح على رمزه (op i) ويأخذ الإحالة من الاسم المنصوب الذي يتبع المركب الفعلي[2]؛ وهنا تبدو واضحة خرق مبدأ س / ج السابق الذي التزم مع الفعل اللازم ؛ أما هنا فنحن أمام إحالة من المنصوب مع المركب الفعلي باتجاه وجود

(١) سمية المكي ، احدى المتخصصات في اللغة العربية وهي مصرية الجنسية.

(٢) اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري ، مرجع سابق ، ص

عامل مع اسم آخر متصدر في جملة ، وهذه الإحالة تجعل خط المعنى متواجدا في كامل النص ويسهم في توجيه دفة الدلالة دائما بوساطة تلك التحولات او عمليات الخفق المتعدد للوظائف وللمعنى ، ويتكون في دلالة جديدة تختلف عن دلالة النقل وما يتبعه من أثر (trace) ؛ وهذا العامل يتكون بمساعدة الربط المعجمي الذي ساهم في تكريس المعنى مع البيت الأول ولكنه هنا بوجهة نظر جديدة تتخلق المعنى مع تعدد وظائف النحو.[1]

تحليل:إن صورة الطير التي تحلق بين طرائق الماء أثناء تفرق الموج موجودة وهذه الصور التي تنوعت مع الأجزاء الثلاثة للتوافقات لغة تبرهن مما تكلمنا عليها سابقاً، وهذه العوالم العجائبية التي تتوزع بين الواقعية واللاواقعية؛ حيث تبدأ صورة الطير التقليدية التي تحلِّق فوقَ البحار والمياه بين السماء والأرض؛ وتتبدل الأماكن؛ وتنتقل إلى حالة من الفروسية التي تبني قيماً من الفروسية تناسب حجم المدح في الوصف الذي يبدع فيه المتنبي؛ إنها الحالة العجائبية التي تخلق التوافق مع البرهنة الممكنة لوجودها الفعلي ، ويعن اللون الأبلق للفرس الذي يمتطيه الفارس ، وتتناغم الصورة بين طيور تمتطي حصن بلق تسود بها في بحار متلاطمة الأمواج، وتعبر بين حبَابها وطرق تفرق الأمواج بعد هديرها مع جري الأحصنة فوق تلك الدروب ؛ وعليها فرسان كأنهم الطير أو طيور كأنها فرسان معارك لا يُشق لها غبار ، وصور متتابعة لا تكاد تتوقف لتناسب حركية اللغة والنص ، وعند الأخذ بتلابيب المعنى واللغة التي انصاعت للدلالة ستتوضح قيمة التوافقية التي أبدعها المتنبي .

---

[1] انظر (الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي) ، د. سمية المكي ، دار الكتاب الجديد المتحدة٠ بيروت، لبنان ،ط١، ٢٠١٣م، ص ٣٦٤- ٣٦٥

حيث عودتنا إلى تناسق أجزاء التوافق تتضح صورة التعقيدات بين الوحدات المعجمية داخل الصور العجائبية ، نرى صورة التوافق مع وجود الجزء الأول تبدأ مع ظهور المجاز المرسل في البيت (فرسان بلق) ؛ و هذا المجاز المرسل ساهم في تحييد النحو الذي ربط العلائق وبدأ كما قلنا بتكريس المعنى المعجمي ؛ وهذا كله من باب الحدس الممكن، أما عند الحديث عن تراتبيات الأمكنة التي اختلقها المتنبي (أمواج – حَباب – طرق متفرعة) ؛ فهي تنساب مع باب الحقيقة التي حاول سبغها على النص ؛ وهنا يطوف هذا المشهد بين عالمين ؛ أولهما واقعي والآخر عجائبي حالم، هنا مع تفرعات النحو التوافقي أو المقولاتي، ولكل كلمة بعض السمات التي تسمح لها بتكوين معنى سياقي خاص مع غيرها من الكلمات، " ولعل حديث بوستفشكي عن المعنى في السياق هو الذي جعلنا نستحضر تحديدا التمييز الذي أقامه راستي[1] بين السمة الملازمة (seme inherent) والسمة غير الملازمة (seme afferent) ..... معتبراص أن المعنى هو مجموعة من السمات اللازمة وغير اللازمة المحيّنة في مقطع أو نص ".
[2]

وهنا تكون السمات الملازمة متحددة مع كلمة أو لفظ ما، حيث يكون متعارفا عليها مع هذه الكلمة أو اللفظ، حيثما ذُكر تكون معه بالتعارف بين مجموعة الثقافة اللغوية الواحدة أو الجماعة اللغوية الواحدة ، وهنا تكون كل سمة جديدة لكلمة معجمية خاصة مجالاً للتأويل والبرهنة ؛ فعندما نقول :[3]

---

(١) راستي عالم لغة فرنسي

(٢) الاقتضاء وانسجام الخطاب، د . ريم الهمامي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٣م ، ص ٢٠٠

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٠١

رأيتُ كلباً يتحدث

وهنا نكون أمام سمة غير مألوفة لكلمة معجمية تأخذ سمة أخرى ، لأن المعروف أن الكلب ينبح ولا يتحدث ؛ وهذا يفتح باباً للتأويل لبناء خطاب جديد أو جمل جديدة، ويتضح كسر السمات الملازمة في استخدام جملة (فرسان بلق)؛ ومن المعروف أن صفة البلق تكون للفرس وليس للفارس ، وهذا دخل في سمات وتأويل جديد لبناء المعنى ؛ يسمى بالعربية المجاز المرسل.

وترتبط بالتواضع قبل أي شيء آخر، حيث تكون خاضعة للسياق بشكل كامل تأتي بما يناسبه من تواضع ومعنى، ولعل جزء من هذه السمات يظهر مع بقية أبيات الشعر في قصيدة المتنبي تلك : [1]

- كأنَّها والرِّيـــاحُ تضربُها جيشاً وغى هازِمٌ ومنهزِمُ

(الرياح) عادت لتأخذ الصورة مع الطير، (الرياح تضرب) ؛ تخالف السمة المتعارف عليها في الوحدة المعجمية، ولكنها تحينت المعنى السياقي، وصور الجيش في الحرب، بين الطير والرياح، وظهور الهازم والمهزوم ، ونعود لمسألة التوافق بين جمهور أو جماعة لغوية في باب بناء الحدث (الجزء الثاني من التوافقات المبرهنة)؛

---

[1] شرح ديوان المتنبي ، جزء ٤ ، ص٦٧

توافق صورة مع البيت الذي يليه من هذا العالم العجائبي:[1]

– كأنَّها فـــي نهـــارِها قَمَـــرٌ حفَّ بهِ من جنانِها ظُلَمُ

وتتموضع الكلمات مرة أخرى وفق مبدأ أول بيت من هذه القصيدة وفق مبدأ ج/س ؛ ويبدأ الاسم المتصدر في الجملة ثم يأتي المركب الفعلي مرة أخرى ليعيد للكلمة المعجمية قدرتها على بناء الدلالة ، الطير قمر أحاط بها جنان تشابكت في جمالها وخضرتها حتى بدت سوداء مظلمة ؛ تشبيه البحيرة بالجان والحدائق ، وحول هذا يقول العكبري :" وشبه شدة الخضرة حولها بالسواد على حدِّ قوله تعالى : (مدهامتان) أي سوداوان ، وقال حف به ولم يقل حفه لأنه ضمنه معنى أحاط فعداه تعديته "[2] ، وهذا التصوير والتوصيف الذي توَّجه المتنبي بسمات ملازمة وأخرى غير ملازمة يبدو في شكل التشبيه للطير بالقمر بما يقتضيه السياق في المعنى الذي أراده عن ضوء النهار فأتى بالقمر مخالفا السمة العامة المتعارفة للنهار ، والفعل الذي جاء مع المركب الفعلي بالفعل (حف) واخترق السمات عندما عداه بحرف جر خاص من كلمة لأخرى يساهم في تكوين العالم العجائبي مع فعل آخر ؛ وهذا النقل القصدي للسمات جعل من العالم العجائبي يفيض بالمتناقضات ، ولكنه يخلق برهنة توافقات تبررها بغرض صياغة المعنى بشكل صحيح ، واستخدام المعنى القرآني في بيئة لغوية تقدس هذه المعاني ؛ وكل ذلك لسبغ حلة دينية وقدسية خاصة مع هذه الكلمة(الطير) وربما نتذكر الطير الأبابيل في جزء من استدعاء التراث الديني ، ويأتي البيت الأخير في هذا العالم العجائبي مع قوله: [3]

---

[1] شرح ديوان المتنبي ، جزء ٤ ، ص٦٧

[2] شرح ديوان المتنبي ، ص١٨٨

[3] شرح ديوان المتنبي ، جزء ٤ ، ص٦٨

ناعمَةُ الجِّسمِ لا عِظامَ لها لَها بناتٌ وَ مالها رَحِـــمَ

حالة الخلق التي تتماثل مع التراكيب العجائبية لتصنع المخلوقات المركبة من الواقعي واللاواقعي ، فيضمحل الواقعي في كثير من الأحيان أمام تطور اللاواقعي ؛ تتفرع الصفات التي تبني هذا المكوَّن الجديد ؛ الموصوف بالنعومة والخصوبة رغم عقم خلقه في بناء الجسد ، وتتغير البنية الجسدية له ليتعامد الجسد اللين وقوفا دون عظام لهيكله ، وتتوالد البنات منه رمزية لخصوبة كبيرة رغم إقصاء الرحم من بناء جسده، لا يمكن تصوِّر مجرد أن يدرك كل هذه الدلالات لمدلول واحد ؛ وهو لدال البحيرة التي أخصها بصفات مرجعية تحيل القارئ على كائن شبه أسطوري عجائبي يبدل راحتيه بين وصف الواقعية لبعض صفات البحيرة ويدل بالثانية على صفات عجائبية ، لكائن له يلد البنات دون رحم ، وناعم يقف بهيكله دون عظم .

المبحث الرابع : الدَّمج الوظيفي في بنية العالم العجائبي

تتحول العجائبية من حالة معرفية (أبستمولوجية) إلى حالة مساكنة بين الوظائف الدلالية في النص الأدبي ، ينتج عنها قصور في مفهوم وشيوع لمفهوم آخر في بنية التركيب والنص ، ولدراسة هذا التفاهم بين حالة المساكنة والشيوع ؛ لابد من أخذ النص إلى سياقات الحدث الذي استطاع بناء محاوره ؛ وكيف تنوع بين العجيب تارة والعجائبي تارة أخرى , وكل واحد منهم له مقومات بقائه أو فنائه داخل التركيب نفسه ، عندما يطغى محور على محور آخر ليبقى في القيادة ، وعندما يتنحى الحدث الرئيسي في النص ليسمح لحدث فرعي بالانتشار الدلالي مؤقتا، ونحن نعلم أن العجيب لا يسمح للواقع أبدا أن يتجول في بنيانه أو معانيه ، وذلك عكس العجائبي الذي يرتكز

في بعض أركانه على بنية الواقع جزئيا ، وهنا سنحيل هذا البنى على فكرة ومفهوم (الوصف المعرَّف) ؛ الذي يهتم بالاقتضاء داخل النص ، ويعمل على عنصر الانتقاء لموضوع داخل النص، ثم وصفه بالموضوع الذي يتوفر على الخاصية المطلوبة ، لأن لغة المنطق اللغوي للمحمولات العادية تتطلب عدم وجود أوصاف معرفة ، وعند توسيع المصطلح باستخدام عامل ثابت يدعى عامل – أيوتا (iota- operator)؛ ونرمز اصطلاحا لهذا العامل بـــ(i) يمكننا أن نكتب "س"، بحيث له خاصية هي " د " ، مثلا وتبدو هذه العلاقة على الشكل التالي:[1].

i س (د(س)) ؛ ونستعمل هذه العبارة لتكون ثابتا فرديا وننطلق منها لتكون موضوعا جديدا لمحمولات جديدة من مثل غ (i س (د(س)) ؛ والتي يمكن أن تُقرأ ؛ "س" له خاصية "د" وله الخاصية "غ"، أو ربما نختصرها بالشكل التالي " د هي غ".

وهذا العامل يجعل من جملة مهملة في النص جملة تشكل حدًّا ثابتا ، ويجب أن يتواجد في النص أكثر من (س) واحد له هذه الخاصية ، ولن ندخل في بنية الصدق والكذب هنا حتى لا نغرق النص في تفاصيل الصوري والمجرد ، ما يهمنا هنا هو بناء الجمل المهملة وتتابع القضاء الدلالي لمدلول واحد من مثل (س) حيث يتنوع الوصف له (د) ويؤسس علاقات جديدة تتنازع على كامل النص في تسلسل بين الإهمال للحدث الرئيسي وبين الترسيخ لهذا الحدث وصفاته ؛ إن بناء هذا العالم من تسلسل الموضوعات والمحمولات داخل النص الأدبي يمثل حالة من النمو الممتع والمتناسق لكل محور من النص .

---

[1] انظر(المنطق في اللسانيات) – مرجع سابق ، ص ٢٠٤

يقول المتنبي :[1]

ولكنَّ بالفسطـــاط بحـــــــراً أزرْرتُهُ حياتي ونُصحـــــــي و الهوى والقوافِيا

وجُرداً مددْنا بينَ آذانِهـــــا الْقنـــا فبِتنَ خِفــافاً يتَّبِعن الْعـــــواليـــــــــا

تَماشى بأيدٍ كُلَّما وافتِ الصَّفـــــــا نَقشْنَ بهِ صـــــدْرَ الْبُزاةِ حـــــوافِيـــا

وتنظُرُ من سودٍ صوادقَ في الدُّجى يَرَينَ بعيداتِ الشُّخوصِ كمـــــا هيـــــا

وتنْصِبُ للجرسِ الخفيِّ سوامعاً يَخلْنَ مناجـــــاةَ الضَّميـــــــرِ تنـــاديـــا

تُجاذِبُ فرســـــانَ الصَّبـــاحِ أعِنَّةً كأنَّ على الأعناقِ منها أفاعيـــــــــــا

التحليل : البداية التي تكون مع الحمب للاقتضاء الأول مع دلالة البحر (ويعني كافورا) وما يستدل به على وجود الاقتضاء المبني على حامل لغوي يرتبط مع تحديد المكان (الفسطاط) ، ودور المكان في هذا التركيب لا يعدو إلا دلالة وصفية تساهم في التحديد على أنها خاصية واحدة ضمن كمية الخصائص للموضوع الذي سنسميه اصطلاحا (i س) مع الوصف المعرف الذي أشرنا إليه سابقًا؛(هو عبارة تنتقي موضوعاً فرداً من خلال وصفه بأنه يتضمن خاصية معينة تميزه عن غيره أو تتشابه معها)[2] ، ويبنى هنا الموضوع (كافور) ويتحلى بخصائص منها، دلالة الكرم التي ترمزت مع كلمة (بحر) ، ونحن هنا أمام الخاصية (د) لعلاقة الموضوع مع كل الخصائص التي يمكن ان تتجدد في البيت الشعري أو التركيب اللغوي الواحد، والحامل للموضوع هنا هو علاقة

---

[1] شرح ديوان المتنبي ، ص ٤٢١-٤٢٢

(٢) اللسانيات الوظيفية- مدخل نظري ، ص٤٠

كافور مع المتنبي، وبداية الخصائص التي تتصل بكل هذا العالم المرسوم تحت اسم (د) بما يقتضيه من خصائص يمكن حصرها بشكل عام في: السخاء- الأمانة(أزرته حياتي) - الود (ونصحي) - الحب - الكلمة(القوافيا) .

العلاقة التي تبنى بين الحالة الأولى وخصائصها تساهم في تجريد التركيب الأول من استقلاله الحدودي وتشركه في علاقة ثانية سنحددها فيما بعد ضمن تسلسل الأبيات في العالم العجائبي ، ونبقى هنا عند الطرف الأول لقدرة الدمج بين العالم العجيب والعجائبي ؛ وبناء الاقتضاء المكمل للعوالم بكليتها ، ونحن قلنا عن تعدد أكثر من (س) ولكل واحدة خاصيتها أو مجموعة خصائصها ، وأهمية العامل (أيوتا) في قدرته على تحويل جملة مفتوحة مهملة إلى جملة تشكل حدا ثابتا فرديا ؛ والسؤال المهم هنا كيف نعرف هذا الاقتضاء وكيف يمكنُ لجملةٍ أن تصبح حدا ثابتا ، حيث تنقسم حالات الاقتضاء بين ؛ الوجودية (existential)،

ومثاله: سيارة زينب حمراء تقتضي: زينب تمتلك سيارة

والوقيعية (factive) ومثاله :

غريب أن الأرض دائرية تقتضي : أن الأرض دائرية

والمقولية (categorial) ومثاله :

برج إيفل ذكي ، ويدل على وجود كيان له ذهن في هذا الاقتضاء وما يتضمنه من أي كائن أو كيان له ذهن فيكون ضمن خصائص هذا الاقتضاء [1].

---

[1] انظر (المنطق في اللسانيات) – مرجع سابق، ص ٢٠١-٢٠٢

مما سبق نستطيع أن نفهم بنية الاقتضاء مع حالة الغرابة أو الألفة في كل الخصائص التي يدرجها في اللغة ، وهذا قد يساعد على فهم العالم العجائبي بين التردد والإثبات ، وبالنتيجة عن حالة التركيب اللغوي في بيت شعر المتنبي، فإنها يمثل حالة الاقتضاء الوجودي (existential) مع تحديد الخصائص منها تخصيص المكان (الفسطاط) نوع من المرجعية التي تواجه حالة الاقتضاء وتثبت معها بقية الخصائص المتعلقة بالصفة المعرفة التي تتالت تباعا ؛ السخاء والأمانة والحق في الكلمة ، ولابد من التذكير هنا أننا أمام بناء في قدرة التركيب على التدرج للولوج في العالم العجائبي ابتداء من الواقع ثم الإسهاب في العجيب واللاواقعي من تجسيد لصفات خيالية تتبع المحور الأول (i س(د(س)) ، وبالانتقال لبقية ما جاءت به الأبيات يمكننا أن نوضح حالة التشابك والتداخل التي تتسم بها هذه الجمل في قصائد المتنبي، وتعتمد على الموروث اللغوي العربي الذي يعمل على تطوير حالات الإسناد والتبعية في التركيب اللغوي، وربما ساعد كل هذا على التوغل أكثر في قدرة العالم الموصوف والعجائبي على استغلال كل دقائق اللغة للتعمق في حالاته البشرية الغريبة أو الفكرية المعقدة، ومنها ما يطلق عليه الجمل المتداخلة في الموروث العربي ؛ وتتكون من مركبين إسناديين يعتمدان على عمليتين إسناديتين وبينهما تداخل تركيبي، فيكون أحد طرفي المركب الإسنادي طرفا في مركب إسنادي آخر أعم، أو أن يكون كل من المركبين طرفا للإسناد في تركيب أعم، وهناك الجملة المتشابكة، التي تتكون من عدة مركبات إسنادية, وقد تلتقي الجمل المركبة بالجمل المتداخلة بالجمل المزدوجة، ومن هذه العلاقات أيضا قد ترتبط الجمل البسيطة بغيرها بالعطف بوساطة صفة التوازي (parataxe) وتبنى

الجمل على تراص وتواز دون تعقيد ، وقد تتصف الجمل المعقدة بصفة الترابط (hypotaxe) ؛ وعليه فأن

الخاصية التي تكون مع الاقتضاء تضم عناصر مؤثرة في الدلالة من مثل الشرط والاستثناء والحصر والتوكيد والتشبيه وغيره [١] .

والجمل المتداخلة تسمح للمؤلف في تشكيل عوالم متداخلة تتسم بعنصر المفاجأة والتنوع ، ومن هذا نرى المتنبي يعطف على ما سبق في وصف الأحصنة الجرد التي تواجه الحروب وتتسامى مع الموقف الذي يأتي مع الاقتضاء الأول عند وصف كافور الاخشيدي بالسخاء والنبل ، والاقتضاء الجديد (هنا ابتدأ المتنبي اقتضاءً جديداً في وصف نفسه) بما يحمله من الفروسية التي عنصرها الخيل الأصيلة القوية، ونعود للمعادلة في صنع خاصية من مسمى (غ) وتتمتع بما يناسب التركيب الجديد والحامل الجديد (الجرد) ، ومن سماتها السرعة المفرطة والإقدام ، ويتماهى الموضع مع الدال (العواليا) في الاقتضاء الجديد بعد أن كان مع المكان (الفسطاط) فيما سبق، والعواليا ؛ صدر الرمح مما يلي السنان، والمعادلة الجديدة مستمرة مع الصفات المعرَّفة (دلاليا)، وتبني حدودا جديدة من جمل قد تكون مهملة ، ولكنها تسعى للترابط الفكري كما تظهر" عناصر منطقية كالسببية والعموم والخصوص. وهي التي تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية هذه الخطاب . وعلى هذا؛ يكون الترابط قد شمل مبدأ الترابط عند كرايس ، ومضمون التماسك المعنوي عند براون وبول، والتعالق عند شارول

---

[١] انظر (البنية التركيبية للقصيدة الحديثة؛ قصيدة الطلاسم لأبي ماضي أنموذجا) ، د.رابح بن خوية ، عالم الكتب الحديث، إربد ، الاردن ، ط١ ، ٢٠١٣م ، ص١٢

" [1] مما يفتح الاقتضاءات على بعضها بعضا ويدمج القدرة الكاملة للنص على الاستمرار في التوصيف وحمل المعنى ، وربما حالة الدمج بين الخاصيات في (د) ثم في (غ) تتوحد في النهاية لتكون هي ذاتها المعادلة (i س) بحدودها القديمة والجديدة ، والسمة الخاصة مع (غ) تابعة للحامل (الجرد) ومها؛ (الإقدام، القوة ، الصلابة) ، لم تأت بظهورها المعلن، فجاءت بوصفيتها المعرَّفة التي تجعل من مشيتها فوق الصخور (الصفا) وقدرتها على نقش حوافرها فوق صلابة الصخر رغم كونها حافية ؛ للمبالغة في قوة مسيرها فوق صلابة الصخور حتى كاد الصخر أن يشبه صدور الباز في نقوشه وجمالها ، حيث التعالق هنا بين الحالات والخاصيات التي تأتي مع المعادلة(غ) في رسم حدود العالم العجيب عن مشية الأحصنة في مسيرها وقدرتها في الوصول للمراد ، والمراوغة الوصفية للتركيب هنا تظهر في إصرار المتنبي على المضي في حالة الوجدان الشعري التي ظهرت في كل الاقتضاءات التي خطَّ حدودها بدقة وبسبك لغوي عال ، وقد انتهى إلى ذلك (شارل بالي) في القول عنها_ أي اللغة _ " لا تعِّبر عن الفكر إلا من خلال موقف وجداني، أي أن الفكرة المعبَّر عنها بوسائل لغوية لا تصير كلاما إلا عبر مرورها بمسالك وجدانية كالأمل ، أو الترجي ، أو الصبر ، أو النهي ..." [2] ،

والنظر هنا في البيت :[3]

---

[1] لسانيات النص ؛ نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، د. احمد مداس ، عالم الكتب الحديث ، إربد، الأردن ، ط٢، ٢٠٠٩م، ص ٨٣

[2] اللسانيات وتحليل النصوص ، د. رابح بوحوش ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٣٧

[3] شرح ديوان المتنبي ، جزء ٤ ، ص٢٨٦

وتنظر من سودٍ صوادق في الدُّجى يَرَينَ بعيداتِ الشُّخوصِ كمـــــا هيـــــا

يتصف بالصادق (نظرٌ صادقٌ) ، ويبدو المشهد في حدود الوجدان مع ظهور الخاصية الفكرية عطفا على السابق من حالات القوة والقدرة في الـتأثير بالصخور، والارتقاء بالدلالة لتتكون مع (البزاة) في حالة وصفية معدَّلة تناسب مقام السمو والارتقاء المكاني والوجداني ، نحن أمامَ كائن شبه أسطوري يمثل الحصان القادر على كسر قيد الصخر والتسامي في الارتقاء، والرؤيا العقلية مع مصاحبة الرؤية البصرية في الدجى وشدة الظلام ، وهذا المعنى غير محدود أو مغلق داخل النص ، بل يتعداه ليكمل مسيرة البناء اللغوي بحلته المعرفية داخل النص العجائبي أو الموسوم بصفات العجائبية الأدبية ، مما يتجاوز الإسقاط الكليِّ للمعاني في قوالب جاهزة تركيبيا، وهذا مما يفقدها قدرتها البنَّاءة ، ولكننا في النص عند المتنبي نقفز فوق هذه الثغرة الدلالية التي أصابت كثير من المعاجم اللغوية العربية ، وعليه تتأسس البنية المعرفية لكل كلمة داخل النص ذاته قبل أن نبحث في خارج النص عن معنى كل كلمة مستقلة، ونجح النص هنا في تجاوز وجهة النظر التقليدية في تعاملها مع معاني الكلمات وما لها من تعقيدات بعد إسقاطها في تراكيب وقوالب جاهزة تحدُّ من إمكان ظهورها بشكل مفيد وجمالي وقد شار لهذا كل من (إيفانس وطايلر) ٢٠٠٤م[١] ، ويصبح المعنى غير منفصل أو محدود في المعنى التقليدي فقط ، ويتجدَّد في ظهوره من حالة الإبصار في الدجى وبصفة الصدق في الرؤية ، إلى حالة أخرى في تراسل الحواس :[٢]

---

[١] انظر (البنيات الدلالية للزمن في اللغة العربية ؛ من اللغة إلى الذهن) ، د. عبد الكبير الحسني ،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ،عمان ، ط١ ، ٢٠١٥م ، ص ١٣٣

[٢] شرح ديوان المتنبي ، ص ٤٢١-٤٢٢

وتنْصِبُ للجرسِ الخفيِّ سوامعاً يَخلْنَ مناجـــــاةَ الضَّميـــــــرِ تنـــاديـــا

تُجاذِبُ فرســـــانَ الصَّبـــاحِ أعِنَّةً كأنَّ على الأعناقِ منها أفاعيـــــــــــا

حاسة السمع تتحد في البصر حتى تكاد تدخل الضمائر وتعرف أسرار القلوب وما يخفى ، هي المبصرة المستبصرة بما في القلوب ، العجائبية في الوصف المعرَّف بما يدل على المعنى المطروق ، ويأتي الفعل (تجاذب) في صيغة المطاوعة (تفاعل)، وربما هنا تبدو الحالة لصنع خصيصة دلالية أكثر من وجود النحو كحالة قائمة على الإسناد بين المسند والسند إليه ، مما يدل على القيمة الدلالية لصناعة العوالم المقيدة في القصيدة قبل إتمام حالة التكملة للجمل النحوية بما يناسب الإسناد، لأن الحقيقة النظرية اللسانية العربية تستند إلى مفهوم العامل والمعمول؛ لذلك حلَّل النحاة العرب التراكيب باستخدام العامل والمعمول، بوساطة وجهة نظر علائقية ، وأغفلوا الوجوه الدلالية والوظيفية للتراكيب ولم يناقشوها بشكل مستفيض ، لاهتمامهم بالتحليل البنيوي الشكلي للغة العربية، وتركوا قضية الدلالة للبلاغيين العرب [1] ، وتتضح الحالة الدلالية في وجود التركيب (تُجاذِبُ فرســـــانَ الصَّبـــاحِ أعِنَّةً) مع حالة تغييب الفاعل بما يناسب اقتضاء الدلالة عن حالة المناجزة بين الفرسان والأعنة في التجاذب الدال على قوة الأحصنة وشدة غليانها في المعركة، والانتقال للحالة النحوية التمييز للعلاقة بين المسند في الدال(تجاذب) والمسند إليه دلاليا (الأعنة) ، ويسيطر المعنى المراد للعالم العجائبي المفعم بالحركة القتالية للكائن الشبه أسطوري للحصان هنا ،

---

[1] انظر (من قضايا اللغة العربية في اللسانيات التوليدية) ، د. حافيظ إسماعيلي علوي، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عدد١/مج ٣٧، ٢٠٠٨م ، ص١٥٥

العنفوان مع الاقتضاء (غ) ليناسب الخصائص السابقة (القوة – العنفوان – الاستبصار - الصلابة .....) ، وتقبع الحدود مرة أخرى في النص من جديد لتتحرك باتجاه الدلالة المنتقاة مع آخر النص ، فتبدو الأعنة كالأفاعي المتطاولة مع الأعناق الممدودة ، والتمحور الموضعي للأعناق مع الخاصيات المكانية السابقة في (الفسطاط – العوالي – الصفا – الأعناق – الأعنة) يمد الاقتضاء الأول لكامل النص ، وهو مبدأ التعالق نفسه عند (غرايس) ؛ ومبدأ الوجاهة في عدم التعارض، وقد يتضمن كل هذا شكلا دلاليا جديدا يتقدم مع النص، مما يساعد على المرور من الخصيصة الأساسية في الرعف اللغوي والاجتماعي إلى الخصيصة الثانوية في الاستخدام الفردي لكل شاعر[١] ، عن طريق الانتقال بين الخصائص في كل اقتضاء داخل النص الادبي ، وقد أكد (داشير وتروكوث ؛ dasher&Traugott) على أنَّ " اللغة تتخذ من مفرداتها المعجمية تصورات جديدة ، وهي نتيجة مضمونة بناء على طبيعة العالم والطريقة التي تتفاعل بها معه . باختصار ، فإن المعنى السياقي يشتق من خلال تكرار المعاني التي يمكن أن تصبح عرفا مرتبطا بشكل معجمي خاص يحدده سياق الاستعمال ، وهي معطيات نستخلص من خلالها أن توظيف المعاني في سياقات الاستعمال لا علاقة لها بسياقاتها الأصلية ، بل هي العملية يتم تحديدها باعتبارها "سيرورة ذريعة pragmatic process " " [٢] .

---

[١] انظر (لسانيات النص) – مرجع سابق ، ص٨٢

[٢] (البنيات الدلالية للزمن في اللغة العربية ؛ من اللغة إلى الذهن) – مرجع سابق ، ص ١٥٦

وصيرورة الذريعة لاستخدام الأعنة بشكل الافاعي المتطاولة جعل من الوصف قدرة في العالم العجائبي تستطيع أن تكمل الصورة ، وتندمج المعادلة السابقة في معادلة جامعة تتشكل من الاقتضاء (س) ؛ حيث تكون في النهاية :

i س (د (س)) + i س (غ (س)) مما ينتج عنه ؛ د = غ

أو ربما نختصرها بالشكل التالي " د هي غ "

وتندمج العوالم العجائبية في خصائص واحدة مع تغير الحامل داخل التركيب اللغوي نفسه .

الفصل الثالث :
أُسس التجريد الفكري في الصور العقلية عند المتنبي

المبحث الأول : موجهات المعنى في المنطق اللغوي عند المتنبي

المبحث الثاني : تراكب المنطق وتوالي الإخبار

المبحث الثالث : الحجاج الفكري في منطق اللغة

المبحث الرابع : الصنعة اللغوية في اللفظ والتركيب

المبحث الأول: موجهات المعنى في المنطق اللغوي عند المتنبي

ينمو عند المتنبي منطق اللغة الواعية ؛ التي تتصاهر مع جوارها في طرق تظافر المعنى القصدي مع أساليب لغوية تتنوع بين النحو والبلاغة ، ويبقى الشعر محرابا لبناء هذه الصروح اللغوية بما يتضمنه من مساحة للإبداع ولكسر قواعد التراتبية الضيقة ، ويبدع المتنبي في تصنيع منطق اللغة الحجاجية التي تقنع المتلقي بضرورة البقاء مع خيط المعنى حتى لو كان المعنى في بعض الأحيان .

مما يقوي المنطق اللغوي عند المتنبي ؛ قدرته على فتح باب التأويل لتوجيه القصدية الحاكمة على المعنى وقد خلقت لنا نوعا من الأساليب المتمكنة في قياس المعنى القصدي ضمن اللغة المنطقية أو اللامنطقية لكل نسق لغوي .

ويبدو أن النحو مقاييس خاصة عند المتنبي في قدرته على إنشاء مقاييس ذات قيم متنوعة لكل نسق لغوي ، وتسمى هذه المقابس التوجيهية في عرف مدرسة النحو التصنيفي[1] باسم (حيز)؛ مما يساهم في بنا محاور متعاضدة أو متعاكسة تتصدرها بعض الأفعال الكلامية أو الأفعال الوظيفية الجانبية، حيث تترتب الأحداث الكلامية توافقا مع الأماكن المتناظرة؛ وعليه يتكون الحيز من جانبين مقترنين بشكل كبير ويتطابقان مع محور التناقض لأنهما يماثلان أطراف التناقض على المستوى الأساسي، وتتشكل محاور عامودية من مثل (ج١ -ج٢ - ج٣ - ج٤) وتبقى جوانبها منفصلة لأنها لا تعود إلى نفس القطر أو المحور التي تفصل بين جوانبه المختلفة، ولكنها بالوقت

(١) وهي احدى مدارس النحو التي اهتمت بموضوع التصنيف.

ذاته تبقى على علاقة اتصال أو توافق نتيجة وجود اضطراد نسبي بين جوانبها بشكل عكسي أحيانا أو توافقي في أحيان أخرى ، ويمكن أن نصور ذلك بالمخطط الآتي : [1]

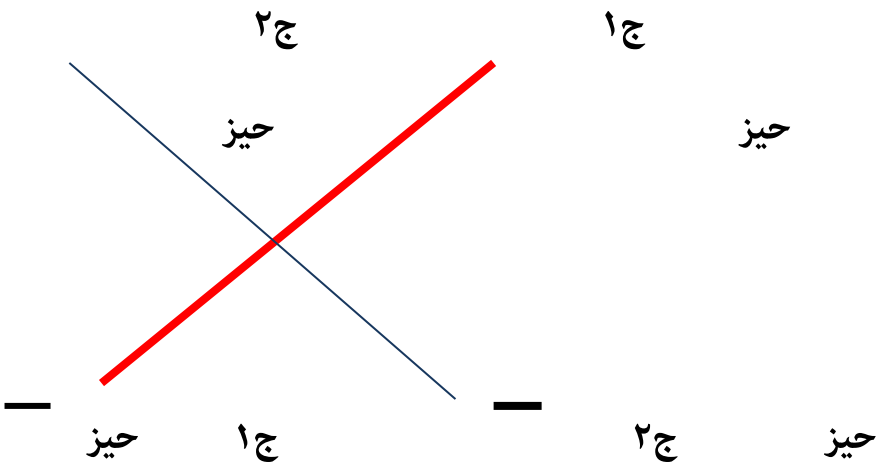

وتنتقل القيم في المعنى من حيز إلى حيز وفق مسارين باعتباره تتابع تحول الأشياء ذات القيمة ؛ فتكون بشكل معادلة : [2]

١ – فعل (ج١ ـــ شيء ج١) فعل (ج١ ـــ شيء ج٢)

على اعتبار ج (وحدات مورفلوجية)

٢- فعل (ج٢ ـــ شيء ج٢) فعل (ج٢ ـــ شيء ج١)

---

[1] (في المعنى ؛ دراسة سيميائية) ، الجيرداس جوليان غريماس ، تعريب : أ . د. نجيب غزاوي، مطبعة الحداد ، سوريا ، اللاذقية ، ص ٣٤

[2] (في المعنى ؛ دراسة سيميائية) – مرجع سابق ، ص ٣٥

وتساهم القيمة في بناء هذه الأنساق المتكاملة في معناها وتراكيبها بما يحقق القصدية ، ويكون تأسيس منفذين نحويين وفق المخطط الموضح للمعنى المصاغ من التوافق أو التعاكس بين هذين المنفذين ، مما يؤدي إلى زيادة الدلالة في المنفذ الأول وقد تنقص الدلالة في المنفذ الثاني ، وقد تزداد الدلالة في المنفذ النحوي الأول وقد تزداد الدلالة في المنفذ الثاني اطرادا معها ؛ ومما يقوي هذه القيم بين كل حيز ؛ هو صناعة دلالات لها إرث قدسي أو ديني عالٍ، وعليه تأتي المفردات مع المنفذ النحوي في علاقة تكامل واضحة ، ونرى هذه القيم البنَّاءة واضحة الصور عند المتنبي بما يصنع القصدية الإلزامية في جوهرها وقوة معناها، وهذا جلي بعض الأبيات التي تصنع الفرق مع المنفذ النحوي والحيز المصاحب، ويجب هنا أن نلاحظ تهيئة المستوى السيميائي (الإشاري) من أجل تحقيق تلك القيم التي تساير المنفذين النحويين تركيبا ودلالة.

يقول المتنبي :[1]

وكن فارقاً بينَ دعوى أردتُ ودعوى فعلتُ بشأوٍ بعيدِ

وتختلف الدلالة في المنفذ النحوي المراقب لمنفذ آخر في كل اتجاه مقابل، ويجب هنا ذكر أن هذا البيت الشعري جاء في إشارة سيميائية إلى فقه الدين من دعوى أكل لحم الضب كما أشار إلى ذلك "العكبري" في شرحه لديوان المتنبي؛ والدخول هنا في حدود الله في تفسير الحديث الشريف والاختلاف بين الفقهاء في الآراء ، وتأتي الأنساق

[1] شرح ديوان المتنبي ، ص٣٤٧

اللغوية متباينة مع منهج اختلاف الفقهاء بين (الوجوب) و(الامتناع) [1] ، وهذه من موجهات المعنى التي استخدمها المتنبي في تحقيق القصدية التي بحث عنها في كل شعره وفكره، وتبدأ المنافذ النحوية في نسق الجمل والمعاني ، ويرتكز الحيز المتروك بين المنفذين لسباق المعنى في تحقيق الوجوب لرمزية الفقه الإسلامي مع استدعاء الإرث المتنازع عليه من الموروث الديني؛ وهذا الاستدعاء يجذب المتلقي لحتمية المتابعة اللغوية والمعرفية في كل منفذ نحوي مع ما يتضمنه من معانٍ متباينة، ويطالعنا هنا اعتماد تعريف جديد لدلالة الجملة ؛ التي كانت فيما مضى من المنظور السابق ؛ تلك الوحدة الأساسية التي تحقق الوصف الدلالي في التوجه ، وقد أكد (أنسكومبر) و(ديكرو) على أن دلالتها هي بالجوهر مجموعة إرشاداتها الحجاجية التي تطلقها في النسق اللغوي، بالاعتماد على عمل الروابط والعوامل الأخرى المصنوعة داخل الجملة، وهذا يقتضي لمسألتين أساسيتين للقياس فيها بما يناسب القوة الحجاجية التي يمكن أن ترفع من فعالية القول أو الجملة، ويتميز النشاط الحجاجي هنا بقيم معينة تساهم في إثبات النتيجة أو دحضها، وتشترك الحجج في توجهها إما دحضا أو تعزيزا لنتيجة معينة[2] ، ووفقا لما سبق من المنْفذَيْن النحويين يمكن رسم حجاج المتنبي في البيت الشعري السابق على النحو:

---

[1] انظر (موجهات التلقي في شروح ديوان أبي الطيب المتنبي) ، عالم الفكر ، العدد ١٧٢ ، أبريل ، ٢٠١٧م ، ص ٣٤

[2] انظر (الحجاجات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو)، د. راضي رشيد، عالم الفكر ، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب العدد ١ يوليو ، مجلد٣٤،٢٠٠٥م، ص٢٢٤-٢٢٩

الفعل (كن ـــــــــــــــــــــــــــــــ دعوى

ـــ أردتُ " ج١ ")

الفعل (كن ـــــــــــــــــــــــــــــــ دعوى

ـــ فعلتُ " ج ٢ ")

المنفذ مشترك بين القيميتين ؛ وهو الفعل في الأمر (كن)، والدال المشترك الوحدة المورفولوجية (دعوى) تمثل قيمة بين الحدين أو المنفذين اللغوين، والاختلاف في المخرج لمحاولة صنع قيمة فارقة بينهما رغم وجود المخرج لكل منفذ نحوي باستخدام فعل ماض، مع الفاعل الضمير المتصل بما يحمله من دلالة على الفاعلية المحمولة مع الفعل ، وكل قيمة مشتركة بينهما ستنتهي بعلاقة محققة على النحو :

فعل (ج١ ← شيء ← ج٢) وبإبدال العلاقة الرياضية بمفردات تصبح:

فعل (ج٢ ← شيء ← ج١) باعتبار ج١ ج٢ = الفعل الرئيسي (كن)

أردت ـــــــــــ كن

فعلت ـــــــــــــ كن

تتحدُ الدلالات جميعها في علاقة الاستبدال بين الأفعال في طرفيها(المنفذين) ، وتؤدي إلى مفهوم تحقيق الإرادة لكل قيمة في النسق اللغوي.

وبمناسبة حديثنا عن التعديل ووصف أدواته التداخلية لخدمة النسق اللغوي ؛ فإننا سنتكلم عن هذه الفكرة عند علماء من مدرسة (إكسفورد) حيث تتنوع استعمالات اللغة التي أخذ بها علما مدرسة أكسفورد، بالنظر إلى اللغة من حيث هي

نسق متواصل ومتوازن واعتبار الوظيفة الوحيدة لها هي الوصف، أو بالأحرى الوظيفة المشروعة مع خاصية قدرتها على التواصل، وهذا ما جعل العالم (أوستن) يسمي هذه الوظيفة باسم "المغالطة الوصفية[1] (Descriptive fallacy)" ويسأل ما الذي يمكن أن نفعل بكل أنواع العبارات الأخرى التي لا نقوم بوصف العالم المحيط والتي تساعدنا على أداء تعابيرنا مثل الجمل الطلبية (كالأمر والنهي) والجمل الاستفهامية وغيرها كثير من الجمل، وليتجاوز علماء أكسفورد هذه المعضلة، قام (أوستن) بابتكار مصطلح "المنطوق الأدائي"[2]. Perforative utterance هو (نظرية الأفعال الفرضية[3]) Illocutionary acts[4] ؛ وما يهمنا هنا، هو أن هذه النظرية التي تركز على أن المتولد الناشئ من الجملة ليس مجرد قول أو كلمات عادية بل هو بمثابة أداء لفعل معين مهما كان غير ذي جدوى أو معنى، وفي مجال بحثنا هذا مع بعض الحالات اللغوية عند المتنبي والتي تدور في جوهرها مع فكرة هذه النظرية بالارتباط مع فكرة أخرى مشتقة من فحوى النظرية ذاتها؛ وهي ما أطلق عليه اسم (المخالفات) Infelicities ؛ وهي " الطرق التي تجعل عمل المنطوق غير ملائم أو تجعله يخفق في أداء الوظيفة المناطة به[5] "وكلمة منطوق هنا تعني (اللفيظ) شفاهاً أو كتابةً ؛ حيث يدل اصطلاح معنى اللفيظ على كل جملة وظيفية داخل التركيب، وسنعود لنبرر

---

(١) المغالطة الوصفية: الوظيفية المشروعة مع خاصية قدرتها على التواصل

(٢) المنطوق الاوائي: تركز على أن المتولد من الجملة هو بمثابة اداء لفعل معين

(٣) نظرية خاصة بالعالم أوستن.

(٤) انظر (التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد) – صلاح اسماعيل عبد الحق – دار التنوير – بيروت – ط١ – ١٩٩٣م – ص١٧٣ – ١٤١ .

(٥) التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد – صلاح إسماعيل عبد الحق – مرجع سابق – ص١٤٢ .

لأنفسنا هذا الإسهاب في شرح نظرية علماء أكسفورد؛ وما قدروه وحددوه من نظريات لهذه المخالفات، وأيًا كان فإن التأويل السابق الذي يعمل كدور الوسيط بين المتلقي والكاتب؛ هو نوع من التوازن الموجَّه لكسر هذه المخالفات في القدرة على التواصل بينهما ثم بناء عالم مشترك تكون هذه المخالفات جزء منه بل وتحمل بعض معانيه أيضًا؛ لأن جوهر اللغة لا يكمن في عناصرها وفي أجزائها؛ إنما في الموجود بين المرسل والمتلقي من تفاهمات بينيَّة تساهم في إعادة صياغة وعي القارئ مع نمطية المرسل وتوجهاته ولغته المبتكرة

ونرى المتنبي يلجأ إلى حدث الالتزام الذي يحمل في قوته درجة الفاعلية التي قد توهم القارئ بإنجاز فعلي واقعي حتى لو لم يكن في حقيقته واقعا، وتكمن الالتزاميات[1] (commissifs) بدرجة إنجاز في حركية معينة قد تكون مساوية لفعل يكون مألوفا في عصره لرمزية بطولية أو استعلائية ؛ وتتضح هذه الأحداث الكلامية التي تشابه حدثية الفعل الإنجازي في بعض أبيات المتنبي من مثل :[2]

ولو برز الزمانُ إليَّ شخْصاً لخضَّبَ شعرَ مفرقهِ حسامي

وهنا حالة الإشارة لفعل كلامي يرافق إيحائيا لحدث كلامي يرمز للقارئ بتلك القدرة والبطولة التي تحاسب الزمان على أحداث شغبه ؛ وتبرز حالة الوحي للقارئ بمنطق التمكن ، وهي من تنوع الإتاحة في قوة الأدب والتي أطلق عليها (أوستن Austen) قوة الوعديات ؛ وهذا الحجاج الذي ينتمي لقدرة فنية ومنطقية للولوج لسياق النسق اللغوي وبعثرة ارتكاز وحداته بما ينبئ بقصدية متصنعة من فكرة وجود

(١) الالتزاميات: حدث يحمل مفي قوته درجة الفاعلية.

(٢) شرح ديوان المتنبي ، جزء ٤ ، ص٤٥

الحدث والتعويل على مدة الزمن الذي يستطيع فيه أن يكون حدثا حقيقيا ، لأنَّ " مفاهيم السلَّم الحجاجي والتوجيه الحجاجي يختصان إذن بالعلاقة الحجاجية سواء أحددت هذه العلاقة لسانياً أم اندرجت تداولياً " [1]

وتبرز القيمة للتداول في استخدام معاني العقل الجمعي التي تتشارك فيها المفاهيم اللغوية عند مجموعة من الناطقين باللغة نفسها ؛ وهذا يحيلنا الى مفهوم الموضع (topos) حيث نرى ؛ جملة لها شكل تقريبا الجملة(ق) لا يمكن أن تستدعي جملة لها شكل (لا – ق) بل تستدعي موضعاً يأتي مع جملة لها شكل (ق) ؛ فعند نطق جملة من مثل :

العشاء تقريبا جاهز

نرى هذه الجملة تعني أن العشاء ليس جاهزا وقت التلفظ بها ، لأنه لو كان جاهزا لما احتجنا للمعدِّل (تقريبا) ؛ وكانت الدعوة للعشاء أهم من ظاهرة الإخبار عنه ، وعند التفصيل في المسميات تبعا لظاهرة الموضع topos ؛ تكون جاهزية العشاء (ق) وتكون عدم جاهزيته (لا- ق) ، والمستمع لهذه الجملة لا يهتم أن (ق) غير محققة ولم تتحول لواقع ، بل يهتم بأن مسألة الإنهاء في حكم المضمونة نسبيا ، وهذا بسبب قانون منطق اللغة الذي يهمل القيمة المنطقية للقول على حساب تركيزه على القيمة التداولية التواصلية للقول واللغة .[2]

---

[1] (التداولية والحجاج ؛ مداخل ونصوص) ، صابر الحباشنة ، صفحات للدراسات والنشر ، سورية ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ص٢١

[2] انظر (التداولية والحجاج ؛ مداخل ونصوص) – مرجع سابق ، ص ٢١ –٢٢

والمتنبي هنا يحقق الموضع التداولي عند المتلقي في نمط اللغة التي أوجدها عند القارئ ونمَّاه عليها ، فتحقق موضع الانتقام من الدهر برمز (ق) ووجود معدِّل وهو (لو)؛ أداة امتناع الامتناع ، فتحقق الموضع من القدرة على قتل الزمان والانتقام منه ، وذلك كله على حساب الجملة (لا – ق) التي ترمز للعجز عن الانتقام من الزمان وقتله كونه ليس مجسدا بشريا ؛ والانتقال للموضع الذي يستلزمه الانتقام من الزمان وتجسيده برجل هو الذي أتاح للجملة (ق) التحقق مع منطق اللغة تلك

المبحث الثاني : تراكب المنطق وتوالي الاخبار

إنَّ القارئ أسير العالم المصطنع الذي خلقه له الشاعر ؛ هو يتماهى معه بحسب قدرة المبدع على صناعة العالم الجديد بعيدًا عن المغالطة الحقيقية أو المنطقية؛ وبناء على ما تقدم فإننا يجب أن نتفهم حقيقة محاولة القارئ لخلق انسجام منطقي بينه وبين الواقع الذي يخلقه له الأديب وما التأويل (الهيرمونطيقيا) إلّا محاولة لملء هذه الهوة بين الخيال أو المتخيل وبين المحيط التحقيقي الواقعي للقارئ؛ فيلجأ إلى محاولة إيجاد نقاط مشتركة بينه وبين النص ليستطيع من خلالها الانسجام مع ذاته أثناء غوصه في العالم المصطنع الذي وضعه فيه الأديب.

وعند تنظيم أحداث إعادة التأويل؛ بعد القبول بفائدة مثل هذه المعالجة المبدئية لمبدأ التأويل؛ لدينا علاقات من مثل الإسناد ثم التعديل ثانيًا؛ والإسناد هو ابتداءً إعادة التأويل بشكل دلالي للنتائج التي يتسبب فيها اللفيظ بشكل مباشر ووقتي دون البحث أو التسجيل في محيطات المعتقد للقارئ، أما التعديل وهو الجانب الآخر لتلقي هذا اللفيظ؛ فيكون بوساطة تحمّل مبادئ وتبعات المسؤولية التي يحددها هذا اللفيظ، والتسجيل في محيطات المعتقد والعوالم الممكنة التي

تتضــمنها هذه العوالم التي يصــطنعها الأديب، وإنَّ أحداث اللغة هي مظهر من مظاهر التعديل؛ إذ يمكن وصـفها على شـكل تسـجيل في عوالم ممكنة، وللتعديل نوعان من إعادة التأويل:

- تأويل الحقيقية وأحداث اللغة.
- تأويل حقائقي؛ أي تأويل الوظيفة المرجعية وقيمة تحقيقه؛ لذلك فإننا نستخدم هذا الجزء الحقائقي من إعادة التأويل في اللفظيات الساخرة التي تخلق بونًا حاصلاً بين ما قيل وما هو موجود، مع التنبيه هنا إلى ضرورة عدم مناقضة المنطقي الحقيقي للجملة المبنية. فعندما أقول "أصدقاؤنا دائماً هنا عندما يحتاجون إلينا" أكون قد تهكمت على عدم مساعدتهم لنا وقت حاجتنا إليهم وبالوقت ذاته لم أقدم مناقضة لغوية أو تحقيقية لقدرة الاستيعاب عند المتلقي، ولكنني غيرت بقيم تحقيق الجملة ووظيفتها المرجعية باعتبارها تكسر التوقع عند القارئ وتلعب بالوظيفة المرجعية في دلالات كلمة (أصدقاء)؛ وما تحمله من مساندة ووفاء [1]

وقد أخطأ (هيرش)[2] في رأيه في عدم وجود معيار لتحديد طريقة تمحور المعنى في وعي الكاتب؛ لأن مفهوم الوعي يتضمن فكرة الاستخبار experiencing التي هي مجرد وهم يأتي للمعنى من باب الموضع ؛ لأننا قد نظن معنى كلمة عبارة عن شيء نختبره في رؤوسنا لكننا عندما نعبِّر عنه لا يكون حاضرا في الجملة التي نقولها إلا بشكل غامض ليس فيه منطق أو وضوح، وقد اشترط (هيرش) وجود شرطين منهما القابلية على إعادة الإنتاج reproducibility

---

(١) انظر (في سبيل منطق للمعنى) – روبير مارتان – مرجع سابق ، ص٣٤٧ – ٣٥٢ .

(٢) هيرش: أحد علماء اللغة.

التي تعني قدرة المعنى على المشاركة، أما الشرط الثاني فهو التحديد determinacy ؛ والذي يعني فيه هرش تطابق المعنى مع ذاته فقط ، وبذلك يتقيد المعنى بضعف التأويل وبضبابية القصدية التي منحها لذهن الكاتب دون وجود معيار لتحقيقها، وعدَّها مسألة فلسفية ليست تطبيقية على النصوص أو الأدب، ويفقد الكاتب قدرته على الجزم في بناء أسس المعنى التي يرمي إليها، ليتحول إلى فعل ظني يكتنفه الغموض الكبير، ويفقد كل مقومات البنا الصحيح ، وعليه يتسم المبدأ بالخطورة التي من شأنها أن تحول المعنى إلى جوهر فارغ دون مضمون، وقد انحاز (هيرش) لصالح فكرة "الصلاحية" على حساب فكرة " التحقق" التي تعد أنموذجا لتناسب القصدية عند المؤلف مع اللغة التي تحمل الفكرة ؛ ونحن هنا مع الاهتمام الجزئي بقانون الصلاحية في اتساق اللغة والمنطق اللغوي مع صلاحية أقرب تأويل يمكن أن يرتقي باللغة إلى درجة معنى قصدي ونفي صلاحية تأويل آخر ابتعد عن المعنى ؛ دون تفضيل مفهوم الصلاحية على التحقق وتشويه النص . [1]

ويتحول مفهوم "الصلاحية"[2] أحيانا لنوع من المغالطة لو أخذناه بمعناه اللغوي اللغوي الحرفي الذي يبعد الـتأويل الإفهامي قبل النظر في صلاحيته للموقف ، وجرى المتنبي على اعتياد اللغة التأويلية التي تبحث عن المعنى بوساطة الالتزام مع فكرة "التحقق" في قصديته التي أرادها بعد أن نطق بها وليس كونها شأنا مختبئا في الغيبي الذي لا تتضح معالمه أو صوره ؛ وهذا المنطق اللغوي الذي اعتاده المتنبي في بعض شعره الذي

---

(١) انظر (الحلقة النقدية ؛ الأدب والتاريخ والهرمنوطيقيا الفلسفية) ، تأليف: ديفيد كوزنزهوي، ترجمة: خالدة حامد، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص ٣٥-٥٥

(٢) الصلاحية: اتساق اللغة الى درجة معنى قصدي.

يخرج عن مناطق المألوف ويتحول لمتتاليات لغوية يدركها السامع فيميز منطق وشعر المتنبي بعد اعتيادية الاتساق مع اللحظية لكل حدث .

يقول المتنبي في وصف حمى أصابت سيف الدولة : [١]

ومنازلُ الحمَّى الجُسومُ فقُل لنا ما عُذْرُها في ترْكها خيْراتها

أعْجبتها شَرَفاً فطـــالَ وقوفهـــا لتأمِّل الأعضاءِ لا لأذاتِهـــا

يتبين المنطق اللغوي ليتجاوز الإخبار عن مرض سيف الدولة وقد علم الجميع بمرضه؛ وتنطلق فعلية التراكب بين "الصلاحية" و"التحقق" في هذا الشعر لتفصيل حالات اللعبة اللغوية التي تتكرس ضمنه، ويبدأ الإفصاح عن بناء حالة إخبار جديد تتجاوز فهم العامة للمرض وتبعاته، وهنا يبني التأويل كل أدواته مرة أخرى ، فالمرض هنا مشخصا لتلبية شعوره بالحاجة للشرف والمكرمة التي يريدها من سيف الدولة ، ويتناوب المعنى بين (منطوق المتكلم) و بين (معنى الجملة والملفوظ) ويأتي المعنى الاستعاري في فعله المجازي غير المباشر عند (سيرل) بعد أن يتضح في ملفوظ المتكلم لا في وعيه الظني الذي لا نستطيع التكهن بوجوده أصلا .[٢]

تحليل : وتعود فكرة التحقق التي تكلمنا عنها للظهور عند سيرل Searle بمفهوم آخر، مما يؤكد ما ذهبنا إليه من فكرة التحقق، ومدى مطابقتها للمعنى المطلوب بمنطق اللغة ذاتها قبل النظر بوعي الكاتب ومدى وجودها أصلاً؛ والمتنبي قد احترف

---

[١] شرح ديوان المتنبي ، جزء ١ ، ص٢٣٤

[٢] انظر (التفكير الاستعاري والدراسات البلاغية ، أحمد حسن صبرة، سعد سليمان حموده ، دار المعرفة الجامعية ، ط٢ ، ٢٠٠٢م ، ص٥٨

بفطرته وذائقته اللغوية العالية منطق الأشياء ومدى بناء صورها، ويتجرع من حالة الإخبار كأسا من القناعة لتجديد بث خطاب هيئة سيف الدولة وهيبته أمام العامة، فالتركيز على حالة الإخبار عن قوة سيف الدولة ومناعته لا يمكن أن يستبعد في هذه الأبيات التي قصدت تثبيت صورة قوة سيف الدولة؛ فالمرض هنا يبدو ضعيفاً متهالكاً يأتي ذليلاً ليتشرف بجسد سيف الدولة، وطال وقوفه مع سيف الدولة لتنال الرفعة عن كل وقت تمضيه بالقرب منه، لا بقصد الأذية أو إضعاف هيبة سيف الدولة ، ويبدو تراكب المنطق القصدي في صلاحية المعنى الذي أوجد لنفسه تأويلا مناسبا لاستمرار صلاحيته على أنقاض صلاحية تأويل آخر ينفي هذا التداول لفكرة المرض، ومنطوق المتكلم الذي بنى القصدية والإخبار معاً في بنية شعرية واحدة، أدارها المتنبي كما يريد، وأسَّس لها الأسس المنهجية التي تؤدي لفكرة " التحقق " كما أوضحناها سابقا؛ وعليه تتبع الملفوظ فكرة "التحقق" كما استبعد صلاحية ما يبعده عن تحقيق المعنى المراد لغويا؛ فنرى الأسس المنطقية والمنهجية تتسق مع القصدية الكلية التي تهدف للثناء على مكانة سيف الدولة، ولتبث الإخبار عن قوة الدولة والحكم ومنعتهما، ورغم صعوبة صلاحية تأويل المرض بهذه الصورة الممنهجة عند المتنبي، كان بالإمكان رفضه لو ضحى الكاتب بأسس التحقق اللغوي على حساب فكرة القصدية المحضة التي أرادها لمجرد لفظها وقولها، وفي هذه نرى قوة الاستعمال والمعنى تجاوبا مع القصدية والتحقق ومدى صلاحية التأويل ونفي ما سواه من ضعف وابتداع .

ويعتمد المنطق اللغوي على بعض تمظهرات مفردات اللغة عينها كالمصاحبة المعجمية وقدرتها على صناعة قوة الدلالة والمعنى بشكل أوضح؛ والتكرار قد يكون بعلاقة نحوية من مثل الإبدال ؛ فقد يكون ما سبق غير وافٍ بتمامه فيحتاج لاستدعاء آخر لهذا المعنى كونه مطلوباً أكثر في النفس أو من جهة استدعائه لاعتلاء شأنه، ويظهر تضافر القصدين لجلاء المعنى ففي قوله تعالى: "أمدكم بما تعملون، أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون"[1]، فتأتي "أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون" لتوضيح المعنى الذي قبله ولتفصيل المراد وعرضه، ثم تتحد المقاصد اتحادًا تامًا بوساطة تشاكل المعنى، وقد تكون "المصاحبة المعجمية" هي قوة المعنى الأخرى للسبك المعجمي، وهذا يدفع النص نحو الترقي ونحو النماء الدائم حتى آخر التركيب تحت ضوء التناسق الدلالي الذي يتدفق ليجد لفته الخاصة التي تتمازج ثم تتقاطع في دفعة واحدة، فتبدأ ظلال الكلمات بالتشابك والاستبطان، فأصبحت لغةً للباطن بدلاً من لغة المقدمات المنطقية، وظهرت بشكل يحمل دفقًا من المشاعر المثالة بشكلٍ أسلوبي متميز ولعل مصطلح (التوازي) Parallelism هو الأقرب إلى ما نريد، ولكن بشكله الدلالي وليس اللفظي؛ خصوصاً على مستواه الدلالي أو إيراد الملائم عند كل من (مولينو) و(تامين) [2]، وشبه مولينو ذلك بفكرة (المصاحبة المعجمية) التي نجد أثرها كثيراً في كتب الأدب العربي التراثية أو المعاصرة ,مع اختلاف الاستخدام بين كل من التوظيف الغربي والتوظيف العربي لهذا المفهوم.

---

(1) سورة الشعراء – ١٣٢ – ١٣٣ .

(2) انظر (قضايا شعرية) – ياكبسون ، ت: محمد الولي – مبارك حنون، سلسلة المعرفة الأدبية – دار توبقال – الدار البيضاء ، ١٩٨١م ، ص١٠٣ – ١١٠

ومن الأمثلة المتطورة في الشعر العربي قول المتنبي :[1]

وقفت وما في الموت شكٌّ لواقف كأنك في جفنِ الردى وهو نائمُ

تمرُّ بك الأبطال كلمى هزيمةً ووجهك وضاح وثغرك باسم

أن المتبني صنع علاقات دلالية متوازية (الموت - الردى) (كلمي - هزيمة) (وضاح - باسم)، وفق تكرار المعجم التطابقي، لخلق صور متلاحقة بين نسق اللغة الذي يبتكر المعنى في كامل علاقاته البينية .

وهذه الوظيفة الشعرية التي تؤدي إلى تحولات الكلمة على مستوى المعنى، وتقوم على تعويض شبكة نووية معجمية بأخرى مستعينة بالتشبيه والمجاز المرسل والاستعارة والكناية، كما أنها تصنع تحولات أخرى للجملة على مستوى الدلالة والمحتوى أيضًا وبذلك يكون التركيب تجميعاً لمقومات متعددة مستقرة في كلمات لها قابلية وآليات من مثل المبالغة والمقابلة ، وتتبدل باستمرار في حقل أو نسق متغير ، ورغم كل الاعتبارات والدراسات التي ميزت طويلا بين النسق والحقل من حيث علاقات التموضع والتمكن أو الدلالة، إلا أننا نجد بعض العلماء الذين وحدوا المفهوم عندما تكون القصدية غالبة على المفهوم؛ كما بيَّن ذلك (ريفاتير) في مقالة بعنوان " السياق الأسلوبي" ؛ حيث يوضح ريفاتير ذلك السياق على أنه " نموذج لساني يهشمه فجأة عنصر لم يكن في الحسبان ، والتضاد الناتج عن هذا التداخل هو الحافز الأسلوبي

[1] شرح ديوان المتنبي ، جزء ٣ ، ص٣٨٦-٣٨٧

، وينبغي ألا يؤول هـذا التمزق على أنـه مبـدأ تفكيكي . وتكمن القيمـة الأسلوبية لهذا التضاد في العلاقة التي يقيمها بين العنصرين المتعارضين، وما من تأثير سيحدث من دون ارتباطهما في متتالية ما ." [1]

إن طبيعة العلاقة التي يقيمها السـياق الأسـلوبي ؛ هي مزيج من النسـق والحقل معا ، بمعناه الدلالي والموضـعي ، وتبدو الحاجة لهذا التآلف ضرورة للبناء الدلالي ، والبحث عن العنصر الذي يعمل على تهشيم البنية حتى لا تصبح جامدة أو غير متفجرة بالدلالة وبالوقت نفسـه في عدم تحولها لنظرية تفكيك تضـيع المعنى وتشـظيه كما في المنهج التفكيكي ؛ وهذه الوصـفة التي حاكاها ريفاتير ؛ هي قضـية فطرية في قضـايا الشـعر العربي القديم أو المعاصر، ونرى المتنبي يلح في طلبها في صناعة لفظية قد تكون أقرب ما يكون للتغريب الفكري أو التمويه اللفظي ، وجرت على بعض الألسن في عصر الشعر الذي يأخذ وظيفة إخبارية تعكس معانيه وألفاظه ، فيطوِّعها إلى هذا الإخبار ويتجاوز عنه في مرات أخرى، وقد تبين ذلك في بعض القضايا التي شاعت في مجالس العامة والخاصة ، وقد بدا المتنبي فيها البطل الصادح الذي لم يترك جهدا إلا وقد سـارع إليه في سـباق لنيل شرف امتلاك سـاحات العقل واللغة في زمانه وعصره .

وفي ذلك يقول المتبني[2]:

---

[1] (نقد استجابة القارئ ؛ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية) ، جين ب- تومبكنز ، ترجمة: حسن ناظم – علي حاكم ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٩م ، ص١٧٨-١٧٩

(٢) شرح ديوان المتبني،ج١،ص٢٣٤.

ومنازل الحمى جسوم فقل لنا ما عذرها في تركها خيراتها

عصر المتنبي ؛ عصر الصراعات الخارجية والداخلية والدسائس ، وكان لابد من لغة متحولة وسريعة التقلب تستطيع مجاراة الزمن ، وتراكب المنطق الذي خلناه وظيفة متكاملة مع حالة الإخبار ؛ لتجاوز كل المحرمات فكرية أو المستهجنة في ذلك العصر ، وقد أدى ذلك كله لابتكار توجيه لغوي يقوده النحو تارة أو الاشتقاق الغريب تارة أخرى ، أو بناء علائق من اللغة والمنطق النحوي والبلاغي على غير ما جرى عليه أدباء ذلك العصر .

ومن نماذج حضور الموجِّه النحوي في قضايا الدلالة والمنطق اللغوي عند المتنبي : [1]

طوى الجَزيرةَ حتَّى جاءَني خبرٌ فَزِعتُ فيهِ بِآمالي إلى الكذبِ

وهنا يكون النحو في جوهر الدلالة الصانعة للحدث ؛ ويساهم في تكوين القمة المطلوبة التي تهدم بنية التقاليد المستأنسة والاعتيادية وتخرج بالفائدة التي تعلي من شأنها ، ويدخل العنصر النحوي المتخالف عليه في متتالية جديدة حتى يصنع التأثير ، وهنا نرى الكلمة(خبرٌ) والتي صنعت مفارقة نحوية بين وجودها على الفاعلية للفعل (طوى) بتقدير (طوى خبرٌ الجزيرةَ) ؛ وهذا ما ذهب إليه الكوفيون[2] في توضيح دلالة البيت ، ولأن الفعل (طوى) أسبق من الفعل (جاءني) فأعملوه بالفاعل ؛ على مذهب الكوفيين ، واستدلوا بمنطق النحو في وجوب وقوعه برتبة

---

[1] شرح ديوان المتنبي، العكبري /ج٢، ص٨٧

(٢) الكوفيون: اصحاب المدرسة الكوفية في اللغة.

الفاعل ؛ لأنهم قبحوا أن يأتي الفعل بحالة إضمار لتبدأ به الجملة؛ فنرى الفعل (طوى) يجب أن يكون فاعله ظاهراً وليس مضمراً ؛ فصنعوا من الكلمة (خبرٌ) فاعلا للفعل (طوى) وجعلوا إضـمار الفاعل للفعل (جاءني) هو الأفضـل، لتجنب القبح في الدلالة والتفسـير ؛ أما المذهب البصرـي فقد خالف الكوفيين فجعل من كلمة (خبرٌ) فاعلاً للفعل الثاني (جاءني) لأنه أقرب إليه، ولابد من إضـمار الفاعل في الفعل (طوى) لأنه أقرب للتفسـير والتوضـيح ؛ وخلو الفعل من الفاعل أقبح من الامتناع عن الإضمار إذا لم يتقدم له قرينة مظهر، وعليه يجب ألا يخلو الفعل (جاءني) من الفاعل حتى لو أضمرنا بالفعل الأول، لأن كلمة (خبرٌ) قد وصفت بعدها بجملة (فزعت فيه بآمالي)،

ولكنَّ الكوفيين قالوا إنَّ النكرة ليس لها وصف على مذهبهم ، وبذلك اعترضوا على قول البصريين بأحقية الفاعل للفعل (جاءني) [1] .

وقد خلق هذا النقاش النحوي ميزةً لظاهرة الإخبار عند المتنبي وزاد من قيمة شـعره في توالي المنطق اللغوي والتوجيهي مع وظيفة الإخبار التي أرادها ؛ وقوَّى من سرعة الانتشار والإقبال على كل قصيدة أو بيت من الشعر .

[1])شرح ديوان المتنبي – مرجع سابق – ص٨٧– ٨٨

المبحث الثالث : الحجاج الفكري في منطق اللغة

إنَّ حَبْكَ الكلمات داخل النسق اللغوي الناظم لها أو ما يسمى بـ Coherence هو أساس نمو الذي يتضافر في وحدة دلالية وقصدية كاملة حتى تنبعث ضمن حدوده بصيغة متكاملة و تضافريه ، إنها استمرارية المفاهيم والعلاقات الفطرية بين هذه المفاهيم، ونافل عن القول هنا وجود علاقة تبادلية في التأثر والتأثير بين مفردات وأعضاء العبارة أو الجملة؛ فالكل يأخذ من بعضه ويعطي للآخر في سبيل صياغة قصوى تجتاز سقف قدرة الكلمة الواحدة في دلالتها وتضفي على كل عنصر سقفًا جديدًا لمدلوله قد يفوق في كثير من الأحيان قدرته منفردًا على اجتلاب معناه حتى في حدوده الدنيا؛ وصورة الكلمة لا تشذ عن كونها حبك عالٍ في تقنيات متوارثة ولكن بعيدة عن التقليد الأجوف والتكرار العبثي؛ فهي دائماً تعطي المفردات معاني جديدة مع كل صياغة أو توليف إبداعي مع غيرها من الكلمات داخل النسق اللغوي؛ فالشعر والإبداع الأدبي "من غير مجاز يصبح كتلة جامدة وذلك لأن الصور المجازية جزءٌ ضرورية من الطاقة التي تمد الشعر بالحياة"[1]؛ هي طاقة إذًا لكل كلمة من الكلمات، المجاز الذي يبني على التأثر والتأثير بين الحامل والمحمول على حد تعبير ريتشاردز[2]، فلا يمكن لهذه العلاقة أن تكون حبكًا إبداعيًا ذا طاقةٍ دلالية إلا بهذا التضافر وليس علي قاعدة استبدال كلمة بأخرى كما أقرت بهذا بعض النظريات التقليدية، خصوصاً الاستعارة بطرفيها الحامل والمحمول وكيف يتضافران معًا في

---

(١) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه – إليزابيث دور – ت: محمد إبراهيم الشوش – مكتبة منيمنة – بيروت – ص٥٩.

(٢) ريتشاردز: احد علماء اللغة الانجليز.

تكوين فكرة مجموعة من فكرتين يحملانها لتقدم لنا الكلمات (معنى المعنى)؛ أي المعنى الخفي وراء المعنى الظاهر، والأخذ بعين الاعتبار تعدد المعنى والجوانب السياقية أو الشعورية المكونة للقول الاستعاري لأن الهدف الأكبر على حد تعبير (هيوم) هو الوصف الدقيق والمحدد فالشعر ليس لغة الأضداد ولكنه لغة الملموس والعيني، إنه يتنازل إلى لغة الحدس التي تنقل المشاعر والأحاسيس بشكل مادي وملموس وهي تسعى دائمًا إلى لفت انتباهك وشدك وتريك الشيء المحسوس، وتحول دون أن تنساق وراء عملية تجريدية"[1]؛ لأن الإحساس والشعور بالطاقة المعاينة من خلال رسم صورة واقعة مصورة بكل جزئياتها هو الذي يثير المتلقي ويمده بالطاقة التأثرية التي تنبعث في كوامنه أثناء التفاعل مع هذه الصورة ، فكلما كانت مشاركة الحواس أكبر كلما أدرك المتلقي مصداقية هذه الصور magery والتفاعل معها واستحضار إيحاءاتها انطلاقًا من هذه الجملة؛ ويؤكد سورل (John Searle) "إننا عندما نتحدث عن معنى استعاري لكلمة أو عبارة أو جملة فإننا نتحدث عما يمكن للمتكلم، وهو يتلفظ بها أن يعنيه بطريقة تبتعد عما تعنيه هذه الكلمة أو العبارة أو الجملة في الواقع، إننا نتحدث إذن عن النوايا الممكنة للمتكلم"[2]؛ هذا المتكلم الذي بسط سيطرته على كلماته وصاغ الصورة التي أرادها حسب فكرته ورؤيته المختارة، فالتفت المتلقي إلى زاوية الرؤيا التي أرادها الأديب ومنها شاهد المنظر بكل

---

(1) عالم الفكر – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت المجلد ٣٧ (٣) يناير – الكويت – ٢٠٠٩ – ص١٩٨ .

(2) الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي – محمد الوالي المركز الثقافي العربي – ط١ – ١٩٩٠ – ص٢٨ .

تفاصيله ونماذج أحاسيسه ولكن بشرط أن تكون زاوية التلقي مقاربة لزاوية المبدع؛ لأنهما يريان المنظر من نفس الزاوية وبالتالي فالمتلقي أسير زاوية الرؤيا التي نحددها نحن ونرسم صورها ونمسك بخيوط تفاصيلها فنطوع النحو والبلاغة والتقنيات السردية الأخرى لنجعله يرى من منظورنا؛ فكل شيء هنا كرِّس لجعل هذا المتلقي يرى بأعيننا .

تتعامد خطوط الدلالة عند المتنبي في كل مرة يحاول أن يسوِّغ لقضية أو حدثٍ، ونرى بعض هذه القضايا الشعرية تنمو في اتجاه غريب من حيث الوصف أو الاقتران بالموصوف؛ مما لم يعهد استخدامه عند العرب؛ فيقول في وصف خيولهم التي تتسابق للمعركة : [1]

رمى الدَّربَ بالجردِ الجيادِ إلى العدا وما علموا أنَّ السَّهامَ خيولُ

شوائلُ تشوال العقاربِ بالقنا لها مرحٌ من تحتهِ و صهيلُ

هذه الخيول التي هي مثل العقارب في لدغها وفي قوة نصال فرسانها ترتفع من بين تسابق الخيل كأنها أبر العقارب المرفوعة للسم الزعاف للعدا ، (وشوَّالة مشددة ؛ عّلّمٌ للعقرب ، وطائر ؛ والشَّوْلةُ ما تشول العقرب من ذنبها) [2]، وتتسارع الكلمات التي ترسم لوحة متحركة لا تشبه سواها من اللوحات ؛ وهنا نطرب" لشي

---

[1] شرح ديوان المتنبي ، العكبري/ ج٣ ، ص٩٩

[2] المعجم الوسيط ، ص ٩٠٢

آخر غير الصـــور ، فليس فيها صـــور كثيرة أو صـــور متميزة. وإنما نطرب لهذا التشـكيل اللغوي الذي يعتمد على تناسـق الحروف وتتابعها ، واسـتخراج شـحناتها و إشعاعاتها ، واستغلال ما فيها من قيم صوتية تحدث هذا التناسق الفني، إلى جانب الوهج الفني الحار الذي يحدث هذا التناسق المعنوي الذي يهز النفس ويحرك العقل ويثير المشاعر والذي أسميه (الإشعاع الفني) " [1] .

ولابد لهذا الإشعاع الفني أن يبتكر المعاني والقوالب الجديدة والمستوحاة من نهج اللغة ومنطق عملها ، فإن غابت بعض المفردات في جزالتها عوضها نسبة المعاني في جودتها وحسـن انسـجامها مع النسـق العام للمعنى المطروق ، وتبقى النسـب في المعنى دقيقة ومتحدة في عملها حتى تحقق مبتغاها ، وعندما نتكلم عن النسِّـــب وقوانينها ؛ وســـبل الوصـــول لكل جمعها أو تفردها ، فإننا يجب أن نعمل بمقاييس وضعية نستطيع بها فهم نشوئها وطريقة فعلها .

والنِّسـب المقترنة مع شـعره يحاول تحديدها بمكان أو زمان أو يصـطنع كلمة تحدد مواقع ومدة ، فنرى كلمة (الدَّرب) في القصـيدة السـابقة التي تصـف معركة سـيف الدولة مع الروم، لتقع هذه الكلمة في تراثها الدلالي محصـورة بوصـف محور كان يتخذ مكانا للمعارك ؛ وتتموضـع في الأنسـاق اللغوية التي تصـف موقعة، أو ميدان حرب، أو محورا لمعركة، ومما جاء في الشعر العربي القديم ؛ مصطلحَ (الدَّرْبِ)

---

[1] في عالم المتنبي ، الدكتور : عبد العزيز الدسوقي، دار الشروق ، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٨م، ص١١١

الذي يعني المحورَ المذكورَ بما يحمله من فزع وخوف تاريخي بين العرب والروم ، وقد كان امرؤ القيس قد استخدمه لهذه الدلالة المخيفة منذ الجاهلية بقوله: [1]

بَكَى صاحبي لمَّا رأى الدَّرْبَ دُوْنَهُ وأَيْقَنَ أنّا لاحقانِ بِقَيْصَرا

وهذه العلامات الإيقونية التي يرسمها المتنبي مع ما تحمل من إرث ومن تأصيل أو اختلاف في الدلالة أو الوضع الذي جاءت به ، هي قيمة نسبية دقيقة العطاء في ذهن المتلقي ، وهي نِسَبٌ للذم الذي ينتشر على كامل القصائد في حالات مختلفة، ويمكن لنا رسم العلاقة بين الدال والمدلول في بعض هذه الكلمات ؛ فكلما اقتربت المسافة التي تفصل الدال عن المدلول؛ كلما كان الوصف أسهل في معناه ، وكلما ابتعدت المسافة وجاء التأويل ليبين جمالها، يكون المعنى مشوقا ورا سخا عند متتبعه. (رسم توضيحي)

---

[1] ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه :الأستاذ مصطفى عبد الشافى ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢٠٠٤،٥م، ص٦٤

دال ١	مدلول ١	
مدلول ٢		دال ٢
التصور الذهني للمعنى		الصـــورة الواقعيـة للمسمى

وهنا تكون الدلالات المتغيرة التي تحقق نســـباً في حلات متنوعة ، وتشـــبه الرياضـيات في بناء بعض المفاهيم أو الأنسـاق الدقيقة، وهذه النسـب التي تجرعتها الأنسـاق اللغوية في كل مشـارب المعنى عند المتنبي ، مما يجعل هذا الشـعر يحمل قيمة متجددة لا تنتهي ، فكلمة (الدرب) تتحمل من مدلولاتها المعجمية بعض المعاني من مثل :[١]

(أدرب) دخل الدرب و في الغزو جاوز الدرب إلى العدو و صـوت بالطبل،(الدرب) المضيق في الجبال و المدخل الضيق و كل مدخل إلى بلاد الروم و كل طريق يؤدي إلى ظاهر البلد و باب الســكة الواســع و الموضــع يجعل فيه التمر ليجف (ج) دروب وأدراب و دراب[٢].

---

[١] المعجم الوسيط ، ص٦٣٦

(٢) المرجع نفسه ، ص٦٣٨.

وقد ورد في الحديث الشريف الذي صححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة٢٦٢٧/ الصحيحة ١٩٨٨: [١]

عن أبي هريرة_ رضي الله عنه_ قال النبي _صلى الله عليه وسلم :

" غشيتكم الفتنُ كقطعِ الليل المظلمِ ،أنْجى الناسِ فيه رجلٌ صاحبِ شاهقٌ يأكلُ من رسْلِ غنمِهِ ، أو رجلٌ آخذٌ بعنانِ فرسِهِ من ورا الدَّربِ يأكلُ من سيفِهِ "

وكلمة الدرب هنا لمواقع المعارك في الثغور مع ما تحمله من حروب طاحنة ومواجهات كبيرة .

وقد أعاد المتنبي إنتاج تلك القيمة في نسبتها الدلالية بمعنى الحرب مرة أخرى مع الروم ؛ مستدعيا الإرث العربي القديم في العداوة التاريخية بين العرب والروم، وقد أضاف إليها بعض القيم الجديدة في الدلالة وفي الدال ذاته، فجلها علامة وضعية اقتصرها بالحرب ، ومما أعطاها قيمة جديدة لتكون فارقة في تموضعها ووجودها ؛ عندما وسمها بوسم نحوي نادر؛ من علاقة إضافة المفعول به للمصدر :

مفعول به + مصدر
رمى **الدَّربَ** بالجرد

[١] سلسة الاحاديث الصحيحة ، العلامة محمد ناصر الدين الألباني (رحمه الله تعالى) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ص٤٧٨

وهذا الوسم الذي يحمل النسبة الدلالية الجديدة ، وقد انتقل معنى الدرب في مكان الفزع والتوجس(مدلول١ + دال ١) ليشكِّل مدلول٢ ؛ في قيمة مكان الحرب والميدان للمعركة مع الروم ، والمدلول٢ الذي وسمه المتنبي بوسم خاص له علاقة نحوية مميزة وخاصة ، واعتمده في شعره ليحاول رسم الدال بشكل جديد والانتقال (للدال٢) ؛ بما يحمله من قيمة حربية فيها الثبات والعزيمة والعزة.

وقد تنوع بناء القيم النسبية عند المتنبي بكل حالة من الحالات التي أرادها بين المكان أو الزمان ، وتنوعت الطرق الواصلة لهذه النسب مهما كانت غريبة أو صعبة المنال أو بعيدة عن الدال الأصلي الذي اتفق عليه قديما ، وكل هذه التموضعات التي طرقها المتنبي ؛ بقيت في وجدان القارئ في كل عصر سمع شعره، ومما ذاع في صيته عن تلك القيم النسبية للصفات ؛ هو بيته المشهور في الكناية عن سواد لون كافور الإخشيدي عندما كان في مصرَ ؛ فيقول : [1]

فجاءت بنا إنسانَ عين زمانه وخلت بياضا خلفها ومأقيا

وهذا البيت الذي استعمل فيه المتنبي الكناية للدلالة على لون سواد كافور الإخشيدي ؛ وهذه الكناية التي تقع تحت باب كناية عن صفة ؛ تحمل القدرة على الهجاء لكافور باستخدام قيم النسبة للغة التي استطاعت إخفاء هذا الهجاء المبطن له ؛ باعتبار المتنبي في أرض مصر- التي تقع في قبضة كافور ، واستخدام هذا النسق اللغوي (إنسان عين) مع ما يحمله من تحول من مدلول (١) إلى مدلول (٢) والذي هو لون السواد ؛ وهذا من إحسان الصنعة وقوة الطلب عند المتنبي .

---

[1] شرح ديوان المتنبي ، ج/٤ ، ص٤٢٤

ومن النســب المكانية التي تكاملت مع المعنى عند المتنبي في شــعر الحرب ؛ نرى الاسـماء لمواقع ولتضـاريس لها وقع في قلوب العرب من كل القبائل والطبقات ، وقد ساعد ذلك في قلب موازين المعنى مع فكرة "الإشعاع الفني" كما وردت سابقا، وهذه المقومات تنهض بالفكرة عند المتلقي وتســاعد في ترســيخ كل الجوانب التي يسعى إليها الكاتب ، ومن هذه النسب المكانية نرى :[1]

سريتَ إلى جيحانَ من أرضِ آمدٍ ثلاثاً ، لقد أدناكَ ركضٌ وأبعدا

وهنا تتضح بعض التسميات التي لها نسبة قبلية في قلوب العصور العربية ؛ فكلمة (آمد) التي هي عاصــمة الثغور البكرية في الشــام ؛ " وهي أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرا وأشهرها ذكرا " [2] ، ونضع نقطة العامة عند هذا الثغر مع خلق بعد مكاني ومســيرة زمانية ؛ ثلاث ليال ، ويقبع جيحان مع امتداد المســيرة في طريقهم للمعارك من الثغور البكرية في الشـام للتصـادم مع الروم ، وكل هذه القيم والنسـب التي ترفع من مكانة الشــعر وترتقي بالعواطف لمتأججة مع الفكر والمعنى ، وهذا الإشـعاع يعود مرة ثانية ليظهر بقوة من خلال تلك الأشـعار وبنا النسـب والمناسـبة التي تتطور به ، وتأتي بالفعل (سرى) مع بيان الليل وبيان زمن المســير في الثغور بما يناسـب المقام من هول المعارك ومن قسـوتها ، والزمن يسـعى لكسر الاعتيادية من تقلباته ؛ ويتفق مع المقام لسيف الدولة ، ولظهور الأمر الجلل بصفته مدافعا عن

---

[1] شرح ديوان المتنبي ، جزء ١ ، ص٢٨٣

[2] معجم البلدان ، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، دار صادر ، بيروت ، المجلد الأول ، ١٩٧٧م، ص٥٦

الثغور العربية والإســـلامية ، وبهذا يكون التكامل بين الألفاظ والمدلولات منتشرـــا بكل الشـــعر عند المتنبي ، فالدال (درب) وما يحمله من ثغر للمعارك ، والميدان للقتال والعزة ، يتلاءم مع دال آخر في (آمد) من ديار بكر ؛ حيث يبدأ الهجوم للدفاع عن العرب وعن أرضهم .

يظهر المتنبي في هذا المنطق الحجاجي يؤسـس النِّسـب الدقيقة في كل نسـق لغوي ، ليبين للقارئ تفاصـيل المناطق والزمن والمكان ، ويحاول اسـتخدام المفردات الواسعة الدلالة ؛ ويقيدها مع ظواهر النحو وعلاقاته التأويلية .

المبحث الرابع : الصنعة اللغوية في اللفظ والتركيب

الترسيمُ التصويري للغة يساهم في خلق المحفزات التي توجه الخطاب؛ وهنا تكون الصـورة الذهنية العرفية من متعدد بين هذا الترسـيم التصـويري للغة، وتعمل بمثابة الوسـيط بين هذا الترسـيم ، والبنية التي تعتاد عليها اللغة هنا تمتاز بخاصـية فريدة هي جانب بنية (الجزء- الكل) the part -Whole structure والخاصـة بصورة واحدة فقط من الترسيم اللغوي ؛ لتظهر على جانب صورة أخرى من جانب (الجزء-الكل) ، بمعنى أن الترسيم التصويري يعطي الحركة بين الصور اللغوية وكأنه ديناميكية منبثقة من داخل النص لا يحتاج لمحفزات خارجية؛ ولهذا نطلق على بعض الكلمات التي تدخل في نموذج(الجزء -الكل) اسـم المحفزات prompts [1]، وهذه الصورة التي تستغل المحفزات في ديناميكية الحركة داخل النص ، تتضمن أكثر من

---

[1] انظر (النظرية المعاصرة للاستعارة)، جورج ليكوف ، ترجمة: طارق النعمان ، مكتبة الاسكندرية ، مصر ، ٢٠١٤م ، ص٥٥ -٦٠

ترسـيم واحد لعلاقات الجزء- الكل، وتتشـارك الجوانب مع بعضـها لإظهار الصـورة الكاملة للنص المتحرك ، وسـنرى هذا النموذج في الشـعر الغربي ، فالحركة تصـنع اسـتعارات تمييزها في إطار الزمن ونقل الحركة لشـعور المتلقي ؛ فنرى الشـعر الغربي يصور حركة الماء في النهر مع إيقاع خلع الملابس لامرأة تظهر شيئا من جسدها ، وهذه الحركة في جانبي البنية الجزء_ الكل ؛ تتشـارك بين النهر والمرأة ؛ وتكون الكلمات هي المحفزات prompts و يظهر هذا في القصيدة الغربية من مثل : [1]

رويدا رويدا في الخريف تُعري Slowly slowly in autumn

الأنهارُ الضفاف الرملية sand banks

خجولة المرأة في حبها الأول bashful in first love woman

وهي تعري فخذيها showing thighs

وتأتي الأوصاف المنسجمة مع هذه الصورة المتحركة في شكل مسمى الصفات المرسَّـمة ؛ نجد لون ضـفة النهر الرملية على لون البشرـة للمرأة ، الانسـياب الرقيق للماء المنحسر من النهر يشابه الانسياب الرقيق للأقمشة المنحسرة عن جسد المرأة ، ونصـل إلى كل ذلك بوسـاطة ترسـيم صـورة عرفية ذهنية مشـتركة بين هذه الحركة ، بنية الجزء -الكل تظهر في اشـتراك صـورة الماء الذي يغطي الجزء الخفي من رمال الضفة كما الملابس تغطي الجزء الخفي من جسد المرأة ، وهنا سنجد كل الكلمات

---

[1] النظرية المعاصرة للاستعارة – مرجع سابق ، ص٥٦-٥٧

الغائبة عن الحركة والحاضرة تعمل محفزات للمعنى الموجود والخفي في صور متحركة ديناميكية .

وخاصـية الحركة في الشـعر عند المتنبي سـنحاول أن نتنبأ بطبيعة الحركة فيها بما يناسب المقام والكلمات التي ترتكز كمحفزات ، وقد تظهر بعض الخواص الشديدة الاتصـال بقصـدية المعنى عند الحضـور أو الغياب ، وكسر التوقع المبني على ضرورة الحركة المرادة من النص ، وتأتي الحركة مخفية عند المتنبي بعض الأحيان لتظهر في شكل الا ستلزام الحواري مع أفعال حركة غير مباشرة ، ومنه شعر مشهور للمتنبي : [1]

فلمـــا دنـــــا أخفى عليـــهِ مكـــانهُ شعاعُ الحـــديدِ البـــارقِ المتألقِ

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحرِ يمشي أم إلى البدرِ يرتقي؟

تحليل : وتتوزع أفعال الحركة في البيتين لتحاول رسم المنحى المتدرج للقاء بين عظمة سيف الدولة وبين وهج أسنة الرماح والسيوف التي تحيط بسيف الدولة من هيبة المشهد وقوة جيش سيف الدولة ، نرى الكلمات التي تعمل محفزات prompts وانتقاها المتنبي بداية أفعال (دنا ، يمشي) ؛ وهذه الأفعال غير المباشرة في وصف المشهد تعمل لتهيئة الصورة الذهنية العرفية بين كل مشاهد وجوانب الحركة ، والبنية الجزء – الكل ستتمظهر في موقع وسيط يسمح لها أن تلقي ظلالا من المعنى على كل

---

[1] شرح ديوان المتنبي ، جزء ٢ ، ص٣١٢

الترسيم التصويري ، وتضعف الحركة بداية مع صور الاقتراب من حضور سيف الدولة بما تحمله كلمة (دنا) من بطء الحركة وتدرجها بشكل يحاول استفزاز قريحة المتلقي المتعطش للحدث ، كما في الملاحم البطولية تغدو في تصوير مشهدي ، والحركية النصية التي جعلت الجزء- الكل صورة عرفية مشتركة بين جانبي صورتين ؛ تتمثل الأولى في وهج الأسنة والرماح البراقة في جيش سيف الدولة كناية عن القوة والمنعة والعزة، وتصنعها مع صورة الضوء الساطع في البدر الذي يغطي كل ما حوله ببهاء وجمال طلعته؛ ويأتي الكل مدمجا مع الجزء في قسم من الحركة التي اختزلها الترسيم التصويري في لفظة أخرى مع البدر ؛ وتتمظهر مفردة (البحر) في قوله:[1]

إلى البحر يمشي أم إلى البدر يرتقي

ونعود ثانية إلى الاستلزام الحواري[2] الذي جاء مع ديناميكية الحركة ، ودمج البحر مع البدر في الجزء-كل ، وهذا الدمج الذي اتكأ على صورة وهج الرماح وما تمثله من علاقة مع ضوء البدر ووهجه، لا يبرره وجود البحر بجانب التمثيل التصويري للبدر ولضوء الرماح مع مكانة الارتقاء المكاني للبدر ؛ وتشبيهه برفعة سيف الدولة، وتأتي كلمة البحر المحفزة للدلالة على الارتقاء المكاني لسيف الدولة في الجود وفي عظمة جيشه المحيط به متلاطم الصفوف ممتدا كالبحر ، وتعمل الديناميكية الحركية في ترسيم صور ذهنية عرفية بين كل تلك المكونات ، ويكمل المتلقي هذه الترسيمات في ذهنه ، وتتوحد الرؤى بين الشاعر والمستمع في مشهد احتفالي حواري ؛ مع استلزام تكملة كل الأطراف بين الجزء والكل .

---

(١) شرح ديوان المتنبي ، ج٢/ص٣١٢

(٢) الاستلزام الحواري: ما يستلزمه الحوار من نص.

وحجج التعدية في (البحر - البدر) وتتميز هذه العلاقة " التي تسمح بالانتقال من إثبات أن العلاقة الموجودة بين (أ) و (ب) من جهة ، و(ب) و (ج) من جهة أخرى ، هي علاقة واحدة ، إلى استنتاج أن العلاقة بين (أ) و(ج) هي العلاقة نفسها."[١]

العلاقة بين سيف الدولة والبدر ؛ والعلاقة بين سيف الدولة والبحر ، ينتبج عنها طبيعة العلاقة التي تحكم صفة سيف الدولة هي ذاتها ، بين البدر والبحر في كل جزئيتهم وكليتهم .

وقد شاع بعض التغريب في شعر المتنبي طلبا لإظهار الصنعة والقدرة على التحكم بمفاصل اللغة ، ومما جاء من ذلك الشعر بحضور علماء كبار باللغة من مثل ابن جني وغيره ، قول المتنبي : [٢]

وفاؤكما كالربع أشجاهُ طاسِمهُ بأن تسعدا والدمعُ أشفاهُ ساجمُهُ

---

[١] بلاغة الإقناع (دراسة نظرية وتطبيقية) ، د. عبد العالي قادا ، دار كنوز المعرفة ، الأردن ، عمان ، ط١، ٢٠١٦م ، ص١٦٩

[٢] شرح ديوان المتنبي ، جزء ٣ ، ص٣٢٥

ومن شروح ابن بسام النحوي للبيت : [1]

" أي وفاؤكما بإسعادي على البكاء كوفاء الربع الدارس لي بذلك، لأن الربع إذا درس كان لي أشـــجى، والدمع إذا كثر كان عندي أشـــفى، فكلاكما قد أســـعدني على البكاء. والباء متعلقة بالوفاء المحذوف، والتقدير: وفاؤكما بالإســـعاد كوفاء الربع بالإســعاد فلما حذفت إحداهما حملت الباقي على الأقرب الذي هوي حكم المنطوق به، كما تقول: ضربت وضربني زيد. وحســـن الجواب كراهة التكرار وهذا أحســـن محتملاته."

إن العلاقات النحوية و الروابط التفســـيرية بين الحذف والإظهار بما تحمله من غرابة لغوية قصــدية ، كانت تحمل التحدي للغويين المتواجدين في حضرـة ســيف الدولة ، ومن شرحه المعقد ؛ يظهر باب الخطاب لرفيقيه في الســفر كما جرت العادة عند الأقدمين (خليلي) ؛ ويبدو الشعر أشجاه شجواً من قولك شجاني هذا الأمر، أي أحزنه ؛ يخاطب خليليه اللّذين عاهداه بأن يســعداه في اســتحضــار بكائه عند ربع وديار أحبته ، ويبدأ بوصف وفاء صديقيه عندما قاما بإسعاده طلبا للبكاء ، ثم فسّر وجه الشــبه فقال؛ (أشــجي الربع طاســمه) ، يعني أنه كلما قدم عهده كأن أشــجى وأكثر حزنا لزائره ؛ لأنه لا يتسلّى به المحبّ، وأشفى الدمع للحُزن أيضاً ساجمه وهو الهاطل المنسكب .

---

[1] سرقات المتنبي ومشكل معانيه ، تحقيق : محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس، ص١٠٩

هذا التحول والاتجاه اللغوي المعقد في بناء الترتيب النحوي وتقدير المحذوف ؛ يجعل المعنى صعب المنال إلا لطالبه المُجدِّ في تفسير العلاقة ، وهو من باب المعنى للخاصة من النحويين والبلاغيين .

إن نموذج تحليل الترتيب الخطي لوحدات البيت الشعري ربما لن يقدم لنا معلومات كافية عن العلاقات البنيوية بين الضمائر والأسماء التي ترتبط بها ، وسنلجأ للاستلزام المسبق وعلاقات العائد والإشارة العائدية لرسم هذا التصوير اللغوي المركب ؛ ومثاله:

(وفاء + أنتما) ؛ مثل (شجى+ الربعِ) من (طاسم +ه)

والضمير" أنتما" عائد على الاسم (وفاء) لأنه دون الضمير أصبح نكرة سابقة للعائد ؛ وتأتي الكاف بمعناها للتشبيه مع الفعل (شجى) وليس مع همزة التعدية، كما بين ذلك ابن خالويه في الفعل (أشجاه) لأنه ؛ " إذا جاء المتعدي من الثلاثي لا يجوز المجيء به من غيره بتعديته بالهمزة أو التضعيف " [1]

ويكون (الربع) اسما عائدا على ما قبله ، وتكون الضمير المتصل الهاء في كلمة (طاسمه) إشارة عائدية على الاسم النكرة (طاسم) ، وهذه اللواحق العائدية تنشير إلى تموقع المعنى في التركيب بشكل أوضح وأكثر دلالة ، ومن المغري والجاذب هنا أن نفكر في الإشارة العائدية بشكل متصل تماما دون تأخير أو تقديم بموقعها ، والمهم

---

[1] ليس في كلام العرب ، الحسين بن أحمد بن خالويه، ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، ط٢ ، ١٩٧٩م، ص١٥

هنا أن ننظر لها بمعناها وجوهر تكوينها الصرـــفي في المعنى العميق للجملة ، ويساعدنا هذا على إدراك كل العلاقات الخفية ، كما فسرها ابن بسام النحوي بإضمار بعض الحروف والأسماء ، وقد يتضح مقصدنا بشكل أفضل في تفسير جمل من مثل : [1]

(تســـللتُ حولَ الغرفةِ وكدتُ أدوسُ عليها ، كانت هنالك أفعى كبيرة في منتصـــف الطريق).

وتغيرت القيمة العائدية هنا لتتقدم على السالف ؛ فالضمير الهاء في (عليها) تقدم عليهم ولذلك أصبح التفسير غير واضح حتى نصل إلى نهاية العبارة الاسمية الكاملة في نهاية الجملة ، وهو ما يعرف باللاحقية cataphora وهو أقل ظهورا في الكلام من العائدية .

وقد حَملَت لغةُ الإضمار المعنى في البيت الشعري السابق لتقدير اسم محذوف للباء ؛ وهذه اللغة التي شرحها ابن بسام النحوي في تقدير اسم (الوفاء) المقدر بعد الباء ؛ مما يحاول فيه خلق التوازن الدلالي بين طرفي البيت الشعري، قد عرفت حديثا هذه الظاهرة في اللغة العربية باسم " الثغرة المشوشة "[2] parasites gaps ؛ وقد كونت نوعا من القدرة على التفســـير لبعض الجمل العربية ، حيث يكون الفاعل أو المفعول المضمر قادراً على تكوين هذه الثغرة المشوشة ، ويتعذر على الضمير فعل

---

(١) التداولية –مرجع سابق ، ص ٤٧

(٢) الثغرة المشوشة: خلق التوازن الدلالي بين طرفي البيت الشعري.

ذلك ، لأن الضمائر لا يمكنها تسويغ ثغرة مشوشة، وسنرى بعض الأمثلة من اللغة العربية للثغرة المشوشة وتسويغها دلاليا : [1]

١- من ضربَ غلامُهُ

٢- من ضربهُ غلامُهُ

إنَّ إضـــمار المواقع يجعلُ البنيةَ نحو يةً ؛ وهو يجعل المراقبة متبادلة بين الضمائر، تراقب بعضها بعضا ، وفق علاقات تأويلية ؛ (ولهذا نجد ابن بسام النحوي قد أدرج التأويل وفق مبدأ وجود ضروري لكلمة مقدرة بعد الباء) ، ولا نجد هنا صـــعودا أو نقلا ليشـــغل وظيفة المتغير الغائب، لأن النقل ؛ هو الذي يخلق الأثر والخرق الملحوظ لمبادئ الربط النحوي السليم . [2]

تحليل : وبالعودة إلى فكرة ابن بسام النحوي من ضرورة إ ضافة كلمة مقدرة محذوفة ؛ يتبين لنا فطرة النحوي الذي أدرك ضرورة الإضمار مع الإضافة وليس النقل او صعود كلمة من النسق اللغوي إلى الواجهة لتحقيق الاستقامة الدلالية السليمة ، وهنا نفهم ســـبل اعتراض ابن خالويه وغيره ممن حضرـــ مجلس ســـيف الدولة ، وبالأمثلة السابقة نجد الجملة الأولى أصابها اللحن في تركيبها ؛ وهنا يبدو المتغير (أثر

---

[1] اللسانيات التوليدية (من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة) ، د.مصطفى غلفان – بمشاركة: د. أحمد الملاخ – د. حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ص٣٥٨

[2] انظر (اللسانيات التوليدية) – مرجع سابق ، ص ٣٥٦–٣٥٨

فارغ للمعنى الصحيح) ، وهذا المتغير سيرتبط بالضمير الذي اتصل مع الفاعل (غلام) ، ارتباط بضـــمير ملتصـــق مع فاعل الجملة ، ولإنقاذ هذه الجملة من اللحن دون الاضـــطرار لعمليات النقل و ما يرافقها من تغيير الكم والترتيب وفق مبدأ الصـياغة التامة ؛ نلجأ هنا لدلالة الضـمير مع (ضربه) الذي تمثله الجملة رقم(٢) ، حيث تنتفي علة اللحن في بنية الجملة ، لعدم وجود نقل ظاهر يخلخل من بينيتها ، وتبقى المراقبة بين الضـــمائر تأويلية وليســـت اشـــتقاقية ، وبهذا لا تخضـــع لإجراء التحويل .

ونرى عند المتنبي الثغرةَ الموجودة مصـــطنعة في بنية الجملة ، وكان لابد من إضـافة ضـمير جديد أو كلمة مقدرة محذوفة حتى تسـتقيم البنية الدلالية للجملة، وعليه فقد أضاف همزة التعدية للفعل(أشجاه) ، رغم وجود علة للإضافة هنا، مما أثار غضـــب اللغويين والنحويين المراقبين لشـــعره ، ولكن ضرورة اســـتقامة اللفظ والدلالة جعلت من الإضـــافة ضرورة تلزم البحث عن التعديل أو التحويل لتحقيق الاســـتقامة، وعليه أخذ المبدأ نفســـه ابن بســـام في تحقيق الشـرـح والتبيان للبيت المشهور .

الخاتمة

أمدَّت أشـــعار المتنبي الأدبَ العربي بالقدرة على بناء التصـــور العقلي الممتع ؛ وقد امتلأت بكل حالات العصر ـ الاجتماعية والفكرية ، وعند تحليل القصـائد رأينا تطابق الحالات الشـــعرية والفكرية مع كثير من أحدث نظريات التلقي العالمية ، والبحث هنا خرج عن التقليد الأدبي الكلاســيكي واتَّجه لتأســيس التوافق بين النظرية الأدبية بشكلها الحديث مع ما تحمله من اهتمام بالمتلقي الواعي الذي يحدد النقاط المبهمة ويقوم بإعادة قراءتها ، وقد جعل البحث مســائل النحو العربي جزءا أســاســيا من القصدية الشعرية التي أرادها الشاعر وقام بتطبيقها مع منطق اللغة وحركتها ، وقد توصـــل البحث لمجموعة من النتائج التي بُنيت على أســس أكاديمية وعلمية بعيدة عن السرد النظري الكامل ، وسنذكرها تباعا :

- صـــنع البحث توافقا بين الإرث العربي في الأدب والنحو من جهة مع أحدث نظريات التلقي و القصدية الأدبية من جهة أخرى .
- تجاوز البحث التحري النظري ودخل في عمق التحليل الأدائي لبنية اللغة عند المتنبي ؛ مع ما تحمله من قوة المعنى وجزالته في حالة التركيب .
- البحث ناقش فكرة العالم العجائبي عند المتنبي وفق منظور لغوي حديث ، ونتمنى أن تكون من المناقشات التي لها جزء من السبق في ذلك .

نتشرف بقراركم والله من وراء القصد

ثبت المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم

٢- مصطفى السقا- إبراهيم الإيباري- عبد الحفيظ شلبي ، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ؛ المسمى التبيان في شرح الديوان، بشرح: أبي البقاء العكبري ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه، مطبعة مصطفى الباني الحلبي ، القاهرة ، مصر، ١٩٢٦م .

٣- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط – مراجعة: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد – دار الحديث- القاهرة – مجلد واحد

٤- أبي الفتح عثمان بن جني ، بتحقيق : علي النجدي ناصف ، د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، عبد الحليم النجار، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - ج/٢ ، المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية ، لجنة إحياء كتب السنة ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

٥_ الأستاذ مصطفى عبد الشافي ،ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٥،٢٠٠٤م.

٦- الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، المجلد الأول ، ١٩٧٧م .

المصادر الأجنبية :

Le petit Larousse ٢٠١٠, en couleur, librairie Larousse, ٢٠٠٩, Paris, édition anniversaire de la semeuse, p :٦٣٩.

(مصطلح قاموس لاروس الصغير)

٢-المراجع :

٧_ د. زكرياء أرسلان، أبستمولوجيا اللغة النحوية بحث في مقاييس العلمية ومرجعيات التأسيس والتأصيل،- دار كنوز المعرفة - عمان - الأردن - ط١ - ٢٠١٦م .

٨_ محمود محمد شاكر ، أسرار البلاغة ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، علق عليه: مطبعة المدني ودار المدني ، القاهرة، جدة.

٩_ د. خالد السويح، أسس الإخبار في الكلام (بحث في روافد إنتاج الفائدة) - ٢- ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٥م - ط١ .

١٠- د. صابر محمود الحباشنة - الأسلوبية والتداولية؛ مداخل لتحليل الخطاب -عالم الكتب الحديث - إربد - الأردن - ط١ - ٢٠١١م.

١١_ د . ريم الهمامي، الاقتضاء وانسجام الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٣م .

١٢- د.رابح بن خوية ، البنية التركيبية للقصيدة الحديثة؛ قصيدة الطلاسم لأبي ماضي أنموذجا ، عالم الكتب الحديث، إربد ، الاردن ، ط١ ، ٢٠١٣م .

١٣- د. عبد القادر الفاسي الفهري، البناء الموازي؛ نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ،١٩٩٠م .

١٤_ د. عبد الكبير الحسني ،البنيات الدلالية للزمن في اللغة العربية ؛ من اللغة إلى الذهن ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ،عمان ، ط١ ، ٢٠١٥م .

١٥_ صلاح اسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد -دار التنوير - بيروت - ط١ - ١٩٩٣م.

١٦- د. محمد احمد خضير، التركيب والدلالة والسياق؛ دراسات تطبيقية -مكتبة الأنجلو المصرية - مطبعة محمد عبد الكريم حسان - ط١ - ٢٠٠٥م.

١٧- جورج يول ، (التداولية) ، ترجمة: د. قصي العتابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٠م .

١٨_ صابر الحباشنة ، التداولية والحجاج ؛ مداخل ونصوص ، صفحات للدراسات والنشر، سورية ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٨م.

١٩_ أحمد حسن صبرة، التفكير الاستعاري والدراسات البلاغية ، سعد سليمان حموده، دار المعرفة الجامعية ، ط٢ ، ٢٠٠٢م .

٢٠_ عبد الله صولة ، الحِجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، دار الفارابي، بيروت ، لبنان ، كلية الآداب والفنون والإنسانيات ، دار المعرفة، تونس، ط٢، ٢٠٠٧م .

٢١- د. راضي رشيد، (الحجاجات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو)، عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب العدد ١ يوليو - مجلد٣٤ ،٢٠٠٥م .

٢٢_ تأليف: ديفيد كوزنزهوي، الحلقة النقدية (الأدب والتاريخ والهرمنوطيقيا الفلسفية) ، ترجمة: خالدة حامد، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٥م.

٢٣- جيرار دولودال ، السيميائيات أو نظرية العلامات ، ترجمة: عبد الرحمن بو علي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا ، اللاذقية ، ط٢، ٢٠١١م .

٢٤_الشخصية الأنثربولوجية العجائبية في رواية (مائة عام من العزلة لـــــــــــ: غابرييل غارسيا ماركيز) ؛ أنماطها، مواصفاتها ، أبعادها ، تأليف : باية غيبوب، دار الأمل للنشر والطباعة والتوزيع ، الجزائر،٢٠١٢م .

٢٥_ محمد إبراهيم الشوش ، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه - إليزابيث دور - ت: مكتبة منيمنة - بيروت .

٢٦_ محمد الوالي، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي -المركز الثقافي العربي - ط١ - ١٩٩٠م .

٢٧_ فاطمة بدر حسين ،العجائبية في الرواية العربية (من عام ١٩٧٠ إلى نهاية عام ٢٠٠٠)، أطروحة دكتوراه جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ٢٠٠٣م .

٢٨- د. هيفاء جدّة السعفي، الفاعلية في اللسانيات، مقاربة الفاسي الفهري) ، ط١،- عالم الكتب الحديث - إربد - الأردن - ٢٠١٤م .

٢٩- د. سمية المكي ، الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي، دار الكتاب الجديد المتحدة٠ بيروت، لبنان ،ط١، ٢٠١٣م .

٣٠_ د.مصطفى غلفان ، د. أحمد الملاخ - د. حافظ إسماعيلي علوي ،اللسانيات التوليدية (من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي : مفاهيم وأمثلة)، بمشاركة: عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٠م .

٣١- د. أحمد المتوكل ،اللسانيات الوظيفية ؛ مدخل نظري ، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان ، ط٢ ، ٢٠١٠م .

٣٢_ د. رابح بوحوش ، اللسانيات وتحليل النصوص ، عالم الكتب الحديث ، إربد، الأردن، ط٢، ٢٠٠٩م .

٣٣_ محمد سليم سالم ، المجموع أو الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر ؛ ابن سينا ، تحقيق: دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩م.

٣٤- الدكتور صابر الحباشنة -المنحنى الدلالي (دراسات في الاشتراك الدلالي ووجوه المعنى) -دار الحامد للنشر والطباعة - عمان - الأردن - الطبعة ١ - ٢٠١٣م .

٣٥-المنطق في اللسانيات ، تأليف:(ينس ألوود ،لارس-غونار أندرسون، أوستن دال)، ترجمة : عبد المجيد جحفة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان، ط١ ، ٢٠١٣م .

٣٦_ جورج ليكوف ، النظرية المعاصرة للاستعارة، ترجمة: طارق النعمان ،مكتبة الاسكندرية ، مصر ، ٢٠١٤م .

٣٧- جيفري بوول ، النظرية النحوية -ترجمة: مرتضى جواد باقر مراجعة: د. ميشال زكريا- مركز دراسات الوحدة العربية - المنظمة العربية للترجمة - بيروت - ط١ - ٢٠٠٩م .

٣٨_ د. عبد العالي قادا ، بلاغة الإقناع (دراسة نظرية وتطبيقية) ، دار كنوز المعرفة ، الأردن ، عمان ، ط١، ٢٠١٦م

٣٩_بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩م .

٤٠_ غاستون باشلار ، جماليات المكان ، ترجمة : غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان، ط٢ .

٤١_ أحمد بريسول، دلالة أفعال الحركة في إطار المعجم المولد، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت - ط١ - ٢٠١٣م .

٤٢_ محمد الطاهر ابن عاشور ، سرقات المتنبي ومشكل معانيه ، تحقيق : الدار التونسية للنشر ، تونس .

٤٣_ لؤي علي خليل ، عجائبية النثر الحكائي (أدب المعراج والمناقب)، التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، ٢٠٠٧م .

٤٤- د. أحمد نعيم الكراعين ، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٣م .

٤٥_ الجيرداس جوليان غريماس ، في المعنى ؛ دراسة سيميائية ، تعريب : أ . د. نجيب غزاوي، مطبعة الحداد ، سوريا ، اللاذقية .

٤٦_ الدكتور : عبد العزيز الدسوقي،في عالم المتنبي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٨م.

٤٧_ محمد الولي - مبارك حنون، قضايا شعرية - ياكبسون ، ت: سلسلة المعرفة الأدبية - دار توبقال - الدار البيضاء ، ١٩٨١م.

٤٨- د. صابر الحباشنة، قضايا في السيمياء والدلالة _ دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع_ عمان _الأردن_ ط١_ ٢٠١٥م .

٤٩- د. محمد محمد يونس علي ، قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب ، دار الكتاب الجديد المتحد ، بيروت ، لبنان، ط١، ٢٠١٣م .

٥٠_ د. احمد مداس ، لسانيات النص ؛ نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث ، إربد، الأردن ،ط٢، ٢٠٠٩م .

٥١_ الحسين بن أحمد بن خالويه، ليس في كلام العرب، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، ط٢ ، ١٩٧٩م .

٥٢_ تزفتان تودوروف ، مدخل إلى الأدب العجائبي ، ترجمة : الصديق بوعلام، دار الكلام ، الرباط ، ط١ ، ١٩٩٣م.

٥٣- عبد العالي بو طيب ، مستويات دراسة النص الروائي " مقاربة نظرية "، مطبعة الأمنية ، سوريا، المغرب ، ١٩٩٩م .

٥٤- عبد الله بريمي ، مطاردة العلامات ، دار كنوز المعرفة - إربد ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٦م .

٥٥- د. ابتهال محمد البار ، مظاهر نظرية التحويل؛ عند تشومسكي في الدرس النحوي العربي دراسة نظرية تحليلية، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط١ ،٢٠١٤م .

٥٦_ عبد القادر المهيري، من الكلمة إلى الجملة " بحث في منهج النحاة " -مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع - تونس- ١٩٩٨م.

٥٧_ د. حافيظ إسماعيلي علوي، من قضايا اللغة العربية في اللسانيات التوليدية ، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عدد١/مج ٣٧، ٢٠٠٨م .

٥٨_ موجهات التلقي في شروح ديوان أبي الطيب المتنبي، عالم الفكر، العدد ١٧٢ ، أبريل ، ٢٠١٧م .

٥٩_ جين ب- تومبكنز، نقد استجابة القارئ ؛ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، ترجمة: حسن ناظم – علي حاكم ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٩م.

والله من وراء القصد

The Mental Images in the Poetry of Al-Mutanabi

By

Salem Sheham Hajeel Alotaibi

Supervisor

Dr. Abedalrahman Alhowaidi

Abstract

This study dealt with the mental images in al-Mutanabi poetry, an attempt to establish some expectations that ruled the language at al-Mutanabi, and to recognize the ability of the logic of the language at Mutanabi to influence the recipient, and perhaps able to monitor the movements of this word and then keep up with the change of significance, whether it is single or in the composition.

According to the nature of the study, the thesis was divided into an introduction, three chapters and a conclusion. The first chapter deals with the limits of the mental picture and the manifestations of the event. If this chapter is divided into four sections, the second

chapter is the miraculous world in the mental images of al-Mutanabi. Third: The basis of intellectual abstraction in the mental images of Mutanabi in four questions.

The main findings of the study are:

- **The research found the ways in which al-Mutanabi established the ability of growth to penetrate the monologue of the single word with the invention of new meanings for the meaning of the word within the scope of an effective structure that was able to explore new indications.**
- **The research made a consensus between the Arab heritage in literature and grammar on the one hand with the latest theories of reception and literary intent on the other hand.**
- **The research went beyond theoretical analysis and penetrated the depth of the functional analysis of the structure of the language at Mutanabi.**
- **Research Discuss the idea of the world of wonder at Mutanabi according to a modern linguistic perspective.**

- **The researcher reached the results of the call Mutanabi of religious values, social and linguistic different, in order to the majority of recipients in accordance with the frameworks of conflict, which ensures attention to theses language and intellectual**